

AL-MAQRIZI

TAJRID AL-TAWHID

F

Princeton University Library



32101 080198961

للامام تقي الدين أحمد بن علي المقرئ

المتوفى سنة ٨٥٤ هجرية

علق عليه وصحح أصوله الأستاذ

طه محمد الزبي

من علماء الأزهر

الطبعة الأولى سنة ١٣٧٣ هـ

طبع على نفقة

محي الدين محمد شاهين

حقوق الطبع محفوظة

المطبعة المسترعية بالأزهر

١٠٥١٢

al-Maqrizī, Ahmad

تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ الْمَفِيدِ

للامام تقي الدين أحمد بن علي المقریزی

المتوفى سنة ٨٥٤ هجرية

Tajrīd al-tawhīd

علاق عليه وصحيح أصوله الأستاذ

طاهر محمد الزبي

من علماء الأزهر

الطبعة الأولى سنة ١٣٧٣ هـ

طبع على نفقة

محي الدين محمد شاهين

حقوق الطبع محفوظة

المطبعة المنيرية بالأزهر



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين .

((وبعد)) فهذا الكتاب ، تجريد التوحيد المفيد ، من أنفس الكتب في تخليص التوحيد مما شابه من البدع والخرافات التي قد تذهب بأصل التوحيد وتؤدي بالمبتدع إلى الكفر أو إلى عدم كمال توحيده لله جل وعز ، ومعنى تجريد التوحيد . تخليص التوحيد وجعله مجردا مما يشوبه من عوامل الإشراف في محبة الله وربوبيته ، وقد أفصح الشيخ المقرئ عن كل ما يهيم المسلم من أمر التوحيد وبين الطريق المستقيم التي ينبغي أن يسلكها الموحّد وتعرض للشبهة الكثيرة التي تجول بأذهان الناس وتفسد عليهم أمر دينهم ، وبين كثيراً من أفعال الناس المنافية للحق والتي جرّهم إليها اتباع أهوائهم من محاولة تشبيه الخالق بالخلق والتقرب إليه ببعض خلقه من الأحياء والأموات ، وذكر كثيراً من مذاهب الفرق الإسلامية التي اختلط عليها النهج القويم في الدين وبين مبعث ضلالها ، وفساد اعتقادها وعملها ، ورسم المحجة الواضحة وبين معالمها وأوضح للسالك فيها منعطفاتها ، وأضاء ظلماتها بالدليل الملزم والبرهان الساطع ، ومع أنه عاش قبل زماننا بنحو خمس مائة سنة فكانه يعيش بين ظهرانينا ،

فهو يسرد أقوال المبتدعين في زمانه فإذا هي مطابقة لأقوال الجبهة
والخرفين وعباد الخاق وأحلاس القبور في زماننا ، مما يظهر أن الفساد
قديم ، وأن الداء قد دخل جسم الأمة الإسلامية وأخذت ميكروباته
تنهش فيه حتى استفحل وعز دواؤه ، وأعتقد أن سبب استشراف هذا
الداء عدم التفات الحكومات الإسلامية إليه وانصرافها إلى أمور
السياسية وانغماسها في الدنيا ، حتى إن بعض الحكومات شجعت
اختلاف رعاياها ونصرت بعض طوائفها على بعض وهي تعلم أنها
تنصر الباطل وتحارب الحق ، فضلت وأضلت وابتعدت عن الله
وجانبت سبيله ، ولا يمكن علاج هذا الأمر إلا برجوع الحكومات
الإسلامية إلى الصواب والضرب على أيدي المبتدعين والخرفين
والمتكسبين بالدين ، فالتأسي على دين ملوكهم ورؤسائهم وقد قال
الرسول ﷺ « إن الله يزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن » فلا
بد من الاحتكام إلى القرآن والحديث ورد كل شيء إلى الله ورسوله
كما قال تعالى « فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر » .

فيجب الوقوف عند حدود الله ، واتباع سنة رسول الله حتى
تستعيد الأمة الإسلامية مجدها ، وتعود إلى سابق عهدنا نسأل الله
أن يوفقنا إلى اتباعه وأن يحنبنا الابتداع وأن يوفق حكامنا إلى ما يحبه
ويرضاه إنه سميع الدعاء .

طه الزيني

1-6-70

1945

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين * والعاقبة للمتقين * وصلى الله على نبيينا محمد
خاتم النبيين * وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد فهذا كتاب جَمِّ الفوائد بديع الفرائد ينتفع به من أراد
الله والدار الآخرة سميته تجريد التوحيد المفيد والله أسأل العون
على العمل به بمنه ،
إعلم أن الله سبحانه هو ربّ كل شيء ومالِكُه وإلهه : فالرب (١)

(١) يطلق الرب على السيد وعلى مالك الشيء وصاحبه ومصلحه ، والرب
« بآل » خاص بالله عز وجل ولا يطلق على غيره إلا نادرا وجمعه أرباب
وربوب ؛ ومن إطلاق الرب بمعنى السيد ما ورد في قوله تعالى على لسان
يوسف عليه السلام « وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك » أي
عند سيدك وهو الملك ، ومن إطلاقه بمعنى المالك للشيء وصاحبه ، ما ورد على
لسان عبد المطّاب بن هاشم جد الرسول ﷺ في قوله لأبرهة صاحب الفيل
« أما الإبل فأنا ربها وأما البيت فله رب يحميه » أي أنا مالك الإبل والبيت
له صاحب يقدر على حمايته منكم ، ومن إطلاق الرب على الله عز وجل
ما ورد في قوله تعالى على لسان يوسف « قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني
إليه » . ويطلق الرب أيضا على المربي والمتكفل بمصالح الشخص ، ويقال

مصدر ربَّ يَرْبُّ رَبًّا فهو رابٌّ : فمعنى قوله تعالى (ربِّ العالمين)
 ربِّ العالمين فان الرب سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد لعباده القائم
 بتربيتههم وإصلاحهم المتكفل بصلاحهم من خلق ورزق وعافية
 وإصلاح دين ودنيا * والإلهية ^(١) كون العباد يتخذونه سبحانه محبوباً
 مألواً ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والاختبات ^(٢) والتوبة
 والنذر ^(٣) والطاعة والطالب والتوكل ^(٤) ونحو هذه الأشياء فان التوحيد

ربَّ الصبي أى رباه حتى أدرك مثل ربِّته ، وقد بين الشيخ تقى الدين صاحب
 هذا الكتاب معنى التربية والتكفل بالمصالح بالنسبة لله سبحانه وتعالى .
 (١) يقال ألله إلهة وألوهة وألوهية بمعنى عبد عبادة ، ومن ذلك لفظ
 الجلالة وهو الله أصله إله بوزن كتاب بمعنى مألوه أى معبود .

(٢) الإختبات الخضوع لله وتسليم الأمر إليه .

(٣) النذر هو التزام فعل القربات وهو خاص بالله تعالى لا يجوز النذر
 لغيره ، فلا يجوز أن تقول لفلان على ذبح خروف للفقراء أو صيام يوم
 أو أيام ، أو حج بيت الله أو التصدق بكذا من النقود ، وإنما ذلك خاص
 بالله تعالى ، فتقول لله على كذا وكذا ومن الجهل بالدين المأودى إلى الكفر
 إذا كان قائله يعتقد أن مايقول هو الدين ، قول العوام فى هذه الأيام د نذر
 على ياسيدى يابدوى إن شفى الله مريضى أو إن كسبت القضية أو إن قضيت
 حاجتى أن أزورك وأذبح عندك عجلاً أو خروفاً أو أوزع على جلساء
 مسجدك كذا وكذا من النقود أو الأشياء النافعة ، فيجب أن يمتنع
 الناس عن ذلك ويجعلوا النذر لله فقط ، فيقول القائل لله على كذا وكذا
 خالصاً لوجهه دون غيره .

(٤) يجب أن يكون التوكل وهو الاعتماد فى تحقيق الأمور على الله
 وحده ومن الجهل ما يقوله الناس فى هذه الأيام مثل د أنا معتمد على

حقيقته أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى وهذا المقام يشمر التوكل وترك شكاية ^(١) الخلق وترك لومهم والرضا عن الله تعالى والتسليم لحكمه :

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى لعباده والتأله من عباده له سبحانه كما أن الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه عز وجل * واعلم أن أنفس الأعمال وأجلها قدراً توحيد الله تعالى غير أن التوحيد له قشران ^(٢) * الأول أن تقول بلسانك لا إله إلا الله ويسمى هذا الله وعليك ، وأنا معتمد عليك بعد الله ، فيجب أن يكون الاعتماد على الله فقط .

(١) يريد الشيخ بترك الشكاية ترك ما يقوله قليل الرزق مثلاً من أنه يستحق الاتساع في الرزق لأنه صافي الضمير يحب الخير للناس ولا يفعل إلا الخير ، فالله أعلم به وبما يستحق ، وهذا اعتراض على فعل الله ولوم له على تدبيره ولا يليق بال مؤمن الحق ، بل يجب عليه التسليم والرضى كل الرضى بما قدر الله وقسمه ، ولكن عليه أن يأخذ في الأسباب التي توسع رزقه وتقضى مصالحه سواء جاءت بنتيجة أو لم تأت ، ولا بأس بالعمل والدأب والاجتهاد ، ولا يعترض بعد ذلك على المقادير .

(٢) القشر هو ما يغطي اللب ، ففي الفاكهة مثلاً القشر يغطي الثمرة والقشر قليل الفائدة والثمرة هي كل المطلوب ، فشبّه الشيخ المقزيرى قول لا إله إلا الله ، وموافقة القلب على هذا القول . بالقشر قليل الفائدة بالنسبة إلى اب التوحيد ، وشبه رؤية الأمور كلها من الله وعدم الالتفات إلى غيره والإقرار له بالعبادة ، بالثمرة . وهو تشبيه جميل أظهر المعنى الذي أراده غاية الظهور .

القول توحيداً وهو مناقض للتثليث الذى تعتقده النصارى وهذا التوحيد يصدر أيضاً من المنافق الذى يخالف سره جهره * والقشر الثانى أن لا يكون فى القلب مخالفة ولا انكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهذا هو توحيد عامة الناس * ولباب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله تعالى ثم يقطع الالتفات إلى الوسائط وأن يعبد سبحانه عبادة يفرد بها ولا يعبد غيره : ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده : قال الله تعالى (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبد إلهاً إنما عبد هواه وهو ميل نفسه إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل : وميل النفس إلى المألوفات أحد المعانى التى يعبر عنها بالهوى : ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق والالتفات إليهم فان من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره أو يأمل سواه : وهذا التوحيد مقام الصديقين ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السموات والأرض والقائم بمصالح العالم كله وإنما أنكروا توحيد الإلهية ^(١) والمحبة كما قد حكى الله تعالى عنهم فى قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) فلما سواوا غيره به فى هذا التوحيد كانوا مشركين

(١) أى إفراده بالعبادة والحب والخوف والرجاء والنذر والتوكل وغير ذلك مما تقدم .

كما قال الله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ^(١)) وقد علم الله
سبحانه وتعالى عباده كيفية مباينة الشرك في توحيد الالهية وانه تعالى
حقيق بإفراده وليا ^(٢) وحكاما ربا فقال تعالى (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا)
وقال (أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتَغَىٰ حَكَمًا) وقال (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ رَبًّا) فلا
ولى ولا حكم ولا رب إلا الله الذى من عدل به غيره فقد أشرك في
ألوهيته ولو وحد ربوبيته فتوحيد الربوبية هو الذى اجتمعت فيه
الخلايق مؤمنها وكافرها وتوحيد الالهية مفرق الطرق بين المؤمنين
والمشركين ولهذا كانت كلمة الإسلام لا إله إلا الله ولو قال لارب إلا
الله اجزأه عند المحققين * فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد
ولهذا كان أصل الله الإله كما هو قول سيديويه وهو الصحيح وهو قول
جمهور أصحابه إلا من شذ منهم :

وبهذا الاعتبار الذى قررنا به الإله وأنه المحبوب لاجتماع صفات
الكمال فيه كان الله هو الاسم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات
العليا وهو الذى ينسكه المشركون ويحتج الرب سبحانه وتعالى عليهم
بتوحيدهم ربوبيته على توحيد ألوهيته كما قال الله تعالى (قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ

(١) أى يسرون غير ربهم بربهم فى قصده فى الأمور وحبه .

(٢) أى يتولاه الناس فى أمورهم كلها ويحكمونه فى شئونهم وفيما
شجر بينهم ، ويعتقدون أنه خالقهم ورازقهم وجالب الخير لهم ومانع
الضر عنهم .

وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آلَ اللَّهِ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ
بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَمْعَ اللَّهُ بِكُمْ قَوْمٌ يَعْدُلُونَ
وَكَلِمَا ذَكَرَ تَعَالَىٰ مِنْ آيَاتِهِ جُمْلَةً مِنَ الْجُمَلِ قَالَ عَمَّا يُشْرِكُونَ اللَّهُ فَعْبَادُ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِذَلِكَ أَنْ الْمُشْرِكِينَ إِنَّمَا كَانُوا يَقِفُونَ فِي إثْبَاتِ تَوْحِيدِ
الْإِلَهِيَّةِ لَا الرُّبُوبِيَّةِ، عَلَىٰ أَنْ مِنْهُمْ مَنْ أَشْرَكَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ كَمَا يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَىٰ : وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ تَعَالَىٰ يَحْتَاجُ عَلَىٰ مُنْكَرِي الْإِلَهِيَّةِ بِإثْبَاتِهِمُ
الرُّبُوبِيَّةِ : وَالْمَلِكُ هُوَ الْأَمْرُ النَّاهِي الَّذِي لَا يَخْلُقُ خَلْقًا بِمَقْتَضَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ
وَيَتْرَكُهُمْ سُدَىٰ مَعْطَلِينَ لَا يُؤْمَرُونَ وَلَا يَنْهَوْنَ وَلَا يَثَابُونَ وَلَا يَعَاقِبُونَ
فَإِنَّ الْمَلِكَ هُوَ الْأَمْرُ النَّاهِي الْمَعْطَىٰ الْمَنَاعُ الضَّارُّ النَّافِعُ الْمُثِيبُ الْمُعَاقِبُ
وَلِذَلِكَ جَاءَتْ الْاسْتِعَاذَةُ فِي سُورَةِ النَّاسِ وَسُورَةِ الْفَلَقِ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ
الثَّلَاثَةِ الرَّبِّ وَالْمَلِكِ وَالْإِلَهِ ، فَانْهَ الْفَلَقُ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) كَانَ
فِيهِ إِثْبَاتٌ أَنَّهُ خَالِقُهُمْ وَفَاطَرُهُمْ فَبَقِيَ أَنْ يَقَالَ مَاذَا خَلَقَهُمْ هَلْ كَلَّفَهُمْ
وَأَمْرَهُمْ وَنَهَاهُمْ قِيلَ نَعَمْ فَجَاءَ (مَلِكِ النَّاسِ) فَاثْبَتَ الْخَلْقَ وَالْأَمْرَ
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ فَلَمَّا قِيلَ ذَلِكَ قِيلَ فَإِذَا كَانَ رَبًّا مُوجِدًا وَمَلِكًا مُكَلَّفًا
فَهَلْ يَحِبُّ وَيَرْغَبُ إِلَيْهِ وَيَكُونُ التَّوَجُّهُ إِلَيْهِ غَايَةَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ قِيلَ
(إِلَهِ النَّاسِ) أَيْ مَأْلُوهُمْ وَمُحِبُّوهُمْ الَّذِي لَا يَتَوَجَّهُ الْعَبْدُ إِلَىٰ الْخَلْقِ
الْمُكَلَّفِ الْعَابِدِ إِلَّا إِلَهُ الْخَلْقِ الْإِلَهِيَّةِ خَاتِمَةً وَغَايَةً وَمَا قَبْلَهَا كَالْتَوَاطُؤِ لَهَا
وَهَاتَانِ السُّورَتَانِ أَكْثَرُ عَزْمَةٍ (١) فِي الْقُرْآنِ وَجَاءَتْ الْاسْتِعَاذَةُ بِهِمَا

(١) يُقَالُ عَاذَ بِهِ يَعُوذُ عَوْذًا وَعِيَاذًا بِمَعْنَى لَا ذَنْبَ وَلَا جُأَإَ إِلَيْهِ وَاسْتِجَارَ بِهِ ،

وقت الحاجة إلى ذلك وهو حين سحر النبي ﷺ وخيل إليه أنه يفعل
الشيء ﷺ وما فعله وأقام على ذلك أربعين يوماً كما في الصحيح (١)

ويقال استعاذ يستعيز استعاذة أى طلب العوذ ، والعوذة مصدر عاذ يعوذ
مراداً به المرة من اللجوء والاستجارة .

(١) هو في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ، سحر النبي ﷺ رجل
من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه
كان يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو
عندى دعا ودعائهم قال يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني
رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ما
وجع الرجل فقال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الأعصم قال في أى شيء
قال ؟ في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال وأين هو قال في بئر ذروان
فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فجاء فقال يا عائشة كأن ماءها
نقاعة الحناء أو كأن رؤوس نخلمها رؤوس الشياطين قلت يا رسول الله أفلا
استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شراً فأمر بها
فدفنت ، هذا لفظ البخاري . والمطبوب ، الممرض وطبه أى أمرضه
بسبب السحر ، والمشط آلة تسريح الشعر ، والمشاطة ما يتساقط من الشعر
عند التسريح وطلع النخلة الذكر هو المسمى عند الناس في أيامنا هذا بالذكارة
وقد جمع لبيد بن الأعصم هذه الأشياء وعقد عليها عقداً ، وعند كل عقدة
يقول شيئاً من كلام السحر يريد أن يمرض الرسول ﷺ ، وفي زماننا
هذا بقية من السحر ، يفرقه الساحر بين المرء وزوجه وبين الأخ وأخيه
وهذا من الكبرائر تجب محاربة من الناس ومن الحكومة حتى يبتعد الأشرار
عنه ويأمن الناس في حياتهم . وقد اختلف العلماء في سحر النبي ﷺ قديماً
وحديثاً فذهب الجمهور إلى جواز ذلك ووقوعه وأنه لا يخالف العصمة

فلا ينافي الحديث قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) لأن سحر النبي ﷺ كان من جنس ما كان يعتريه ﷺ عليه وآله وسلم من الأسقام والأوجاع وهو مرض من الأمراض وإصابته به كما إصابته بالسم لافرق بينهما يدل له قوله ﷺ في آخر الحديث « قد عافاني الله » قال بن القيم في الهدى قال القاضي عياض والسحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه ﷺ كأنواع الأمراض مما لا ينسکر ولا يقدر في نبوته وأما كونه يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخله في شيء من صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وإنما هذا فيما يجوز طرده عليه في أمر دنياء التي لم يبعث لسببها ولا فضـل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد أنه يخيل إليه من أمور ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان : فكان غاية هذا السحر فيه ﷺ إنما هو في جسده وظاهر جوارحه لا في عقله وقلبه ولذلك لم يكن يعتقد صحة ما يخيل إليه بل يعلم أنه خيال لا حقيقة له : ومثل هذا قد يحدث من بعض الأمراض : وقد ذهب طائفة من المتقدمين إلى أنه لا يجوز ذلك عليه ﷺ وإن هذا نقص في حقه ﷺ وعيب وهو ينافي قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) ومن المتأخرين الشيخ محمد عبده المصري وقد أطنب القول في رد سحر النبي ﷺ ونفيه في تفسيره جزء عم : وحاصل كلامه فيه : ولا يخفى أن تأثير السحر في نفسه عليه السلام حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئاً وهو لا يفعله ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العادية بل هو ماس بالعقل أخذ بالروح وهو ما يصدق قول المشركين فيه (ان تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) وليس المسحور عندهم إلا من خواط في عقله وخيل إليه أن شيئاً يقع وهو لا يقع فيخيل إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه : والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ فهو الذي

وكانت عقد السحر إحدى عشرة عقدة فانزل الله المعوذتين إحدى عشرة آية فانحلت بكل آية عقدة وتعلقت الاستعاذة في أوائل القرآن^(١)

بجب الاعتقاد بما يثبتته وعدم الاعتقاد بما ينفيه وقد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول باثبات حصول السحر له الى المشركين أعدائه ووبخهم على زعمهم هذا فاذا هو ليس بمسحور قطعاً : وأما الحديث فعلى فرض صحته آحاد والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد : وعصمة النبي ﷺ في تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه الا باليقين ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون على أن الحديث الذي يصل اليها من طريق الآحاد إنما يحصل الظن عند من صح عنده أما من قامت له الأدلة على أنه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة : وعلى أي حال فلنا بل علينا أن نفوض الأمر في الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل فانه اذا خوطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عقله كما عموما جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئاً وهو لم يبلغه وأن شيئاً نزل عليه ولم ينزل عليه والأمر ظاهر لا يحتاج الى بيان اه : والمسألة في ذاتها محل بحث وقد ترك كثير من المنتسبين الى المذاهب الأخذ ببعض الأحاديث التي وردت في صحيح البخاري أو مسلم أو غيرهما لقول إمام لهم في المذاهب أو لخالقها القياس فما هنا أولى لدفع شبه الملحدين وغيرهم وموافقة للقرآن القطعي في ذلك : واذا علمت هذا تعلم أن ما ذهب اليه المصنف هو قول الجمهور : والله أعلم .

(١) هو قول القاري . قبل قراءة القرآن « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » وقد علم الله تعالى رسوله الاستعاذة بقوله « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » فلم يقل فاستعذ بالرب ولا استعذ بملك الناس .

باسمه الاله وهو المعبود وحده لاجتماع صفات الكمال فيه ومناجاة العبد لهذا الاله الكامل ذى الاسماء الحسنى والصفات العليا المرغوب اليه فى أن يعيذ^(١) عبده الذى يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربه ثم استحب التعليق^(٢) باسم الاله فى جميع المواطن الذى يقال فيها (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) لأن اسم الله تعالى هو الغاية للأسماء ولهذا كان كل اسم بعده لا يتعرف إلا به فتقول الله هو السلام المؤمن المهيمن فالجلالة تعرف غيرها وغيرها لا يعرفها : والذين أشركوا به تعالى فى الربوبية منهم من أثبت معه خالقا آخر وإن لم يقولوا إنه إله مكافئ له وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدرية^(٣) : وربوبيته سبحانه للعالم الربوبية الكاملة المطلقة الشاملة تبطل أقوالهم لأنها تقتضى ربوبيته^(٤) لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال : وحقيقة قول القدرية المجوسية^(٥) أنه تعالى ليس ربا لأفعال الحيوان^(٦) ولا تتناولها ربوبيته إذ كيف يتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيتته وخلقه .

(١) يحيره ويمنعه من الشيطان .

(٢) التعليق . أى ربط الاستعاذة باسم الله فى قوله تعالى « بالله » .

(٣) القدرية هم الذين يقولون إن العبد يخلق أفعال نفسه وهم قسم من المعتزلة (٤) أى أنه خالق لجميع ما فى العالم من الذوات الخ

(٥) هذا كناية عن أن المعتزلة بجوس هذه الأمة ، أى كالمجوس فى اشراكهم العبد لله فى خلق أفعاله كما جعل المجوس إلهين للعالم أحدهما خالق للخير والآخر خالق للشر .

(٦) المراد بالحيوان الانسان وغيره مما فيه حياة وله أفعال .

وشرك الأُمم كله نوعان شرك في الإلهية وشرك في الربوبية فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل الاشراك وهو شرك عبادة الأصنام وعبادة الملائكة وعبادة الجن وعبادة المشايخ ^(١) والصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) ^(٢) ويشفعوا لنا عنده وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة كما هو المعهود في الدنيا من جصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته : والكتب الإلهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبح أهله وتنص على أنهم أعداء الله تعالى وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم وما أهلك الله تعالى (من أهلك) من الأُمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله : وأصله الشرك في محبة الله قال تعالى (يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) فأخبر سبحانه وتعالى أنه من أحب مع الله شيئاً غيره كما يحبه فقد اتخذ ندا ^(٣) من دونه وهذا على أصح

(١) يريد الشيخ بعبادة المشايخ والصالحين . الذين يعتقدون أن الأولياء ومن يدانهم في الصلاح يستطيعون أن يفعلوا للعبد شيئاً فيتقربون إلى الله بسبب تقربهم إلى الصالحين سواء كانوا أحياء أو أمواتا .

(٢) الزلفى التقريب ، وهذا قول أهل الجاهلية من عبادة الأصنام وأصل الأصنام تماثيل لناس صالحين في الزمان الماضي ، اتخذها أهل الشرك تذكاراً لهم يذكرهم بأصحابها فصاروا يحجون إليها ويقدمون لها القرابين والهدايا واعتقدوا أنها تنفعهم وتضرهم على مدى الأيام .

(٣) الند هو النظير والمعادل . وقد قال رسول الله ﷺ ما معناه إن من علامات المؤمن الخالص أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يكره أن يعودي الكفر كما يكره أن يقتل في النار .

القولين في الآية أنهم يحبونهم كما يحبون الله وهذا هو العدل المذكور في قوله تعالى (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) والمعنى على أصح القولين أنهم يعدلون به غيره في العبادة فيسوون بينه وبين غيره في الحب والعبادة : وكذلك قول المشركين في النار لأصنامهم (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ومعلوم قطعاً أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربهم وخالقهم فانهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرين بأن الله تعالى وحده هو ربهم وخالقهم وأن الأرض ومن فيها لله وحده وأنه رب السموات السبع ورب العرش العظيم : وأنه سبحانه وتعالى هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار ^(١) عليه : وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبة والعبادة فمن أحب غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يجب الله تعالى ويخافه ويرجوه : فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله فكيف بمن كان غير الله آثر عنده وأحب إليه وأخوف عنده وهو في مرضاته أشد سعيًا منه في مرضاة الله فإذا كان المسوى بين الله وبين غيره في ذلك مشركاً فما الظن بهذا فعياداً بالله من أن ينسلخ القلب من التوحيد والإسلام كأنسلاخ الحية من قشرها ^(٢) وهو يظن أنه مسلم موحد فهذا أحد أنواع الشرك : والأدلة الدالة على أنه تعالى يجب أن يكون

(١) أى لا يقدر أحد أن يجير أحداً من الله إلا بإذنه بأن يقبل الله شفاعته وذلك خاص بالرسول ﷺ .

(٢) قشر الحية هو جلدها والحية تبدل جلدها فتخرج من الجلد القديم عند تمام الجلد الجديد .

وحده هو المألوه يبطل هذا الشرك ويدحض حجج أهله وهي أكثر من أن يحيط بها إلا الله بل كل ما خلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده وكذلك كل ما أمر به خلقه وأمره وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من القوى شاهد بأنه الله الذي لا إله إلا هو وأن كل معبود سواه باطل وأنه هو الحق المبين تقديس وتعالى :

وواعجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدأ شاهد

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

والنوع الثاني من الشرك ، الشرك به تعالى في الربوبية كشرك من

جعل معه خالقا آخر كالمجوس وغيرهم الذين يقولون بأن للعالم ربين

أحدهما خالق الخير يقولون له بلسان الفارسية يزدان ^(١) والآخر

خالق الشر ويقولون له بلسانهم أهر من : وكالفلاسفة ومن

تبعهم الذين يقولون بأنه لم يصدر عنه إلا واحد بسيط وإن مصدر

المخلوقات كلها عن العقول والنفوس وإن مصدر هذا العالم عن العقل ^(٢)

الفعال فهو رب كل ماتحته ومدبره وهذا شر من شرك عباد الأصنام

والمجوس والنصارى وهو أخبث شرك في العالم إذ يتضمن من

(١) وقوله يزدان معناه الله : وقوله أهر من أى الشيطان .

(٢) يقول الفلاسفة ان الله خلق عقولا عشرة أى خلق أشياء عشرة

يسمى أولها العقل الأول والعقل الأول أثر في غيره من العقول وهذه

العقول العشرة تشمل أمور العالم كله خيرها وشرها وتؤثر فيها مع أنها ناشئة

عن الله تعالى

التعطيل^(١) وحمد الالهية والربوبية واستناد الخلق إلى غيره سبحانه وتعالى ما لم يتضمنه شرك أمة من الأمم ؛ وشرك القدرية مختصر^(٢) من هذا وباب يدخل منه اليه ولهذا شبههم الصحابة رضى الله عنهم بالمجوس كما ثبتت عن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم وقد روى أهل السنن فيهم ذلك مرفوعا أنهم مجوس هذه الأمة^(٣) وكثيرا ما يجتمع

(١) التعطيل : أى تعطيل صفات الله تعالى عن الاشتغال بالتأثير فى المخلوقات على هذا المذهب لأن العقول هى التى تؤثر فى العالم بعد خلقها فكأن الله لا يفعل شيئا وصفاته باقية بدون عمل .

(٢) لأن العبد إذا خلق فعله كانت قدرة الله فى ذلك الوقت معطلة عن التأثير فى أفعاله

(٣) لفظ رواية ابن عمر عند أبى داود وغيره ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم ، قال الخطابى فى شرح هذا الحديث فى المعالم إنما جعلهم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذاهب المجوس فى قولهم بالأصلين وهما النور والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور والشر فعل الظلمة وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر لا يكون شى منهما إلا بمشيئته وخلق الشر شرافى الحكمة كخلق الخير خيرا فان الأمرين جميعا مضافان إليه خلقا وإيجادا وإلى الفاعلين لهما فعلا واكتسابا اه : وقال الحافظ المنذرى هذا منقطع أبى حازم سلمة بن دينار لم يسمع من ابن عمر وقد روى هذا الحديث من طرق عن ابن عمر ليس منها شىء يثبت اه : وقد تعقبه الحافظ ابن حجر وقال هذا الحديث حسنه الترمذى وصححه الحاكم ورجاله من رجال الصحيح : والله أعلم .

الشركان في العبد وينفرد أحدهما عن الآخر والقرآن الكريم بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرحة بالرد على أهل هذا الإشراك كقوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فانه ينفي^(٢) شرك المحبة والالهية وقوله (وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فانه ينفي شرك الخلق والربوبية : فتضمنت هذه الآية تجريد^(٤) التوحيد لرب العالمين في العبادة وانه لا يجوز إشراك غيره معه لا في الأفعال ولا في الألفاظ ولا في الإرادات فالشرك به في الأفعال كالسجود لغيره سبحانه وتعالى : والطواف بغير بيته المحرم : وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينه في الأرض وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها^(٥) وقد لعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من اتخذ

(٢) انما استفيد نفي الإشراك بالله من قوله تعالى «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» لأن تقديم المفعول وهو إياك على الفعل يفيد الحصر . أى نعبدك وحدك ولا نعبد غيرك كما تنادى أحد الناس فيفهم أن النداء لغيره فتقول له «إِيَّاكَ غَدَيْتُ» أى ناديتك أنت لا غيرك .

(٣) كذلك نستفيد تخصيص الاستعانة بالله من تقديم المفعول وهو إياك

(٤) تخليصه من شائبة توحيد غيره .

(٥) أخرج أبو نعيم في الحلية من حديث فضيل بن عياض قال سمعت عبد الملك بن جريج يقول حدثني عطاء بن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم «لا توضع النواصي الا لله تعالى في حج أو عمرة فاسوى ذلك فثلة» قال أبو نعيم غريب من حديث الفضيل لم يكتبه الا من هذا الوجه والنواصي جمع ناصية وهى مقدم الرأس والمراد بوضعها السجود ، والمثلة الشناعة والفظاعة :

قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَسَاجِدَ كَيْفَ مِنْ اتَّخَذَ الْقُبُورَ أَوْثَانًا ^(١) تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يَحْذَرُ مَا صَنَعُوا ^(٢)» ، وَفِيهِ عَنْهُ أَيْضًا «إِنْ مِنْ شَرَّارِ النَّاسِ مَنْ تَدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ^(٣)» ، وَفِيهِ أَيْضًا عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «إِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِلَّا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنَّهَا كَمِنْ عَنْ ذَلِكَ» ، وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَصَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «لَعَنَ اللَّهُ زَوَارَاتِ ^(٤) الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسَّرَجَ ^(٥)» ، وَقَالَ «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» ، وَقَالَ «إِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرِ أَوْ لَتِكَ شَرَّارِ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ ^(٦)» ، وَالنَّاسُ فِي هَذَا

(١) الْاَوْثَانُ كَالْاَصْنَامِ إِلَّا أَنَّ الصَّنَمَ تَكُونُ لَهُ هَيْئَةٌ كَهَيْئَةِ النَّاسِ أَوْ الْحَيَوَانَاتِ وَالْوُثْنُ كُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَيْسَتْ هَيْئَتُهُ كَاهَيْئَةِ السَّابِقَةِ
(٢) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي مُسْنَدِهِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ .

(٣) رَوَاهُ أَيْضًا أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

(٤) زَوَارَاتُ جَمْعُ زَوَارَةٍ وَهِيَ الْمَرْأَةُ كَثِيرَةُ الزِّيَارَةِ لِلْقُبُورِ .

(٥) وَالسَّرَجُ جَمْعُ سَرَاجٍ كَالشَّمْعِ وَالْقَنَادِيلُ وَالْمَصَابِيحُ السَّكْرُ بَابِيَّةٌ

مَعَهَا وَوُجُودُ فِي زَمَانَتَا هَذَا وَقَبْلَهُ .

(٦) الْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

الباب أعنى زيارة القبور على ثلاثة أقسام . قوم يزورون الموتى فيدعون لهم ^(١) وهذه الزيارة الشرعية : وقوم يزورونهم يدعون بهم ^(٢) فهؤلاء هم المشركون في الألوهية ^(٣) والمحبة * وقوم يزورونهم فيدعونهم ^(٤) أنفسهم وقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » وهؤلاء هم المشركون في الربوبية وقد حرم النبي ﷺ جانب التوحيد أعظم حماية تحقيقاً لقوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) حتى نهى عن الصلاة في هذين الوقتين ^(٥) لئلا يكون له ذريعة إلى التشبيه بعبادة الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين : وسد الذريعة بأن منع من الصلاة بعد العصر ^(٦) والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتتين الذين

(١) السنة عند زيارة القبور أن يقول الزائر السلام عليكم أنتم السابقون ونحن اللاحقون ويدعو للميت بالخير فيقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه اللهم تجاوز عن سيئاته وزد في حسناته ومثل ذلك (٢) أى يتوسلون بهم في الدعاء كقولهم اللهم بحق هذا البطل أو بكرامة هذا الولي أو الشيخ افعلى كذا وكذا .

(٣) لأنهم يتخذون وسيطاً لله ويحبون غيره ويعتقدون أن غير الله دخلاً فى فعل الله . (٤) كمن يقول من جهلة المسلمين فى هذا الزمان ياسيدى ابراهيم يادسوقى أنا محسوب عليك اشف لى مريضى أو افض لى حاجتى ، أو ياسيد يابدوى ، كيف تسكت على من ظلمنى إنك تعلم ظلمه لى ، فاقصف عمره أو فأثبتته فى مكانه لا يتحرك وهذا أخبث الشرك وأدله على الجهل الفاضح والبعد عن حظيرة الاسلام

(٥) المراد بالوقتتين ، وقت طلوع الشمس ووقت غروبها . حتى لا تكون العبادة مشوبة بتعظيم الشمس عند طلوعها وغروبها ، كما يفعل عبادهما (٦) الصلاة التى تحرم عند الشروق والغروب وبعد الصبح وبعد العصر

يسجد المشركون فيهما للشمس :

وأما السجود لغير الله فقد قال عليه الصلاة والسلام : لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلا لله * ولا ينبغي ^(١) في كلام الله ورسوله إنما يستعمل للذي هو في غاية الامتناع كقوله تعالى (وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) وقوله تعالى (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) وقوله تعالى (وَمَا تَزَلَتْ بِهِ الشِّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ) وقوله تعالى (مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ)

ومن الشرك بالله تعالى المبين لقوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره كما رواه الإمام أحمد وأبو داود عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : من حلف بغير الله فقد أشرك ^(٢) ، صححه الحاكم وابن حبان قال ابن حبان أخبرنا الحسن وسفيان ثنا عبد الله بن عمر الجعفي ثنا عبد الرحمن بن سليمان عن الحسن بن عبد الله النخعي عن سعيد بن عبيدة قال كنت عند ابن عمر رضي الله عنه خلف رجل بالكعبة فقال

إلى غروب الشمس هي الصلاة التي لا سبب شرعي لها حتى لا يتوهم أن سببها هو تعظيم الشمس عند الشروق والغروب بسبب قرب هذين الوقتين من وقت طلوع الشمس ووقت غروبها أما الصلاة التي لها سبب كالفاتنة والضحى وتحية المسجد وسنة الوضوء وغير ذلك فلا تحرم بل تجب في الفاتنة وتسن في غيرها ^(١) قوله لا ينبغي مبتدأ خبره قوله إنما يستعمل .

^(٢) معنى الشرك هنا أن الحالف بغير الله قد جعل لله شريكا في التعظيم لأن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه عظمة تشبه عظمة الله لأن الحلف خاص بالله وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) أي ليسكت فلا يحلف مطلقا .

ابن عمر رضى الله عنه ويحك لا تفعل فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من حلف بغير الله فقد أشرك » * ومن الاشرار قول القائل لأحد من الناس ماشاء الله وشئت كما ثبت عن النبي ﷺ « أنه قال له رجل ماشاء الله وشئت فقال أ جعلتني لله ندأ قل ماشاء الله وحده » هذا مع أن الله تعالى قد أثبت للعبد مشيئة كقوله تعالى (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ) فكيف بمن يقول أنا متوكل على الله وعليك وأنا في حسب الله وحسبك ومالي الا الله وأنت : وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله وبركانك : والله لي في السماء وأنت لي في الأرض ^(١) : وزن بين هذه الالفاظ الصادرة من غالب الناس اليوم وبين مانهى عنه من ماشاء الله وشئت ثم انظر أيها أخش يتبين لك أن قائلها أولى بالبعد من (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وبالجواب ^(٢) من النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة وأنه إذا كان قد جعل رسول الله ﷺ ندا فهذا قد جعل من لا يدانيه لله ندأ : وبالجملة فالعبادة المذكورة في قوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) هي السجود والتوكل والإيابة والتقوى والخشية والتوبة والندور والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل ^(٣) والتهميد والاستغفار وحق الرأس ^(٤) خضوعا وتعبدآ والدعاء ، كل ذلك محض حق الله تعالى * وفي مسند الإمام أحمد

(١) كأن الشيخ المقرئ يعيىش بيننا فهذه الالفاظ كثيرة التداول على الألسنة في هذه الأيام نعوذ بالله من شرها وشر قائلها
 (٢) معطوف على قوله بالبعد يعنى أولى بالجواب الخ :
 (٣) التهليل والتهميد هو قول الحمد لله ولا إله إلا الله
 (٤) هذا من أعمال الحج ، ولم يأمرنا الله بخلق رؤوسنا تعبدآ إلا فيه

« أن رجلا أتى به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أذنب ذنبا فلما وقف بين يديه قال اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال ﷺ عرف الحق لأهله ، وأخرجه الحاكم من حديث الحسن عن الأسود ابن سريع وقال حديث صحيح : وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقل من ينجو منه فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى فلم يقم بحقيقة قوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فان (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) هي الحنيفية (١) ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَإِنَّهُ يَكُفِّرُ عَنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) فاستمسك بهذا الأصل وردما (٢) أخرجه المبتدعة والمشركون اليه لتحقيق معنى الكلمة الالهية * فان قيل المشرك إنما قصد تعظيم جناب الله تعالى وأنه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية وإنما قصد تعظيمه وقال (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وإنما أعبد هذه الوسائط لتقربني اليه وتدخل بي عليه فهو الغاية وهذه وسائط فلم كان هذا القدر موجبا لسخط الله تعالى وغضبه ومخلدا في النار وموجبا

(١) الحنيفية . معناها التنزيهية وقد قال الله تعالى عن إبراهيم « إِنِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، أَيْ مَنَزَّهَا اللَّهُ عَنِ الشِّرْكِ مَوْحِدًا لَهُ

(٢) أى اعرض ما يعمل أهل البدع على توحيد الله وإفراده بالعبادة المفهوم من قوله تعالى « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » فإياك تجدد الفرق واضحا فكثير من أفعالهم وأقوالهم يؤدى إلى إشراك غير الله مع الله فى الإلهية

لسفك دماء أصحابه واستباحة حريمهم وأموالهم وهل يجوز في العقل أن يشرع الله تعالى لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا إنما استفيد بالشرع فقط أم ذلك قبيح في الشرع والعقل يمنع أن تأتي به شريعة من الشرائع وما السر في كونه لا يغفر من بين الذنوب كما قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) قلنا الشرك شركان * شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله * وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه وتعالى لا شريك له في ذاته ولا في صفاته : وأما الشرك الثاني فهو الذي فرغنا من الكلام فيه وأشرنا إليه الآن وسنشبع الكلام فيه إن شاء الله تعالى :

أما الشرك الأول^(١) فهو نوعان * أحدهما شرك التعطيل^(٢) وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون في قوله (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ^(٣)) وقال (يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ

-
- (١) الشرك الأول هو الشرك في ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله
 (٢) التعطيل معناه في كلام فرعون إنكار ذات الله ، والتعطيل يشمل إنكار الذات وإنكار الصفات والأفعال كتعطيل فرعون والدهر بين الذين يقولون ما يهلكنا إلا الدهر ، والإقرار بوجودها مع عدم اشتغالها بشيء أصلا كالفلاسفة أو مع اشتغالها ببعض الأشياء دون بعض كالقدرية
 (٣) هذا استفهام إنكارى أى أين هو رب العالمين ليس هناك شيء اسمه رب العالمين . بدليل قول فرعون في الآية التى بعد هذه عن موسى « وإني لأظنه كاذبا ،

إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا) والشرك والتعطيل متلازمان فكل
مشارك معطل وكل معطل مشارك لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل
بل قد يكون المشارك مقرباً بالحق سبحانه وتعالى وصفاته ولكنه معطله
حق التوحيد :

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل وهو ثلاثة
أقسام أحدها تعطيل المصنوع عن صانعه : الثاني تعطيل الصانع عن
كماله الثابت له : الثالث تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة
التوحيد : ومن هذا شرك أهل الوحدة ^(١) : ومنه شرك الملاحدة
القائلين بقدوم العالم وأبديته وأن الحوادث بأسرها مستندة إلى أسباب
ووسائط اقتضت إيجادها ويسمونهم العقول والنفوس : ومنه شرك
معطلة الأسماء والصفات كالجهمية ^(٢) والقرامطة وغلاة المعتزلة * النوع

(١) هم القائلون بوحدة الوجود كبعض الفلاسفة الإسلاميين القائلين
بأن العالم وما فيه جزء من ذات الله أو هو الإله ، حتى قال بعضهم « ما في
الجنة إلا الله »

(٢) الجهمية طائفة يخالفون أهل السنة في كثير من الأصول كمسألة
الرويا في الآخرة وإثبات الصفات ينسبون إلى جهم - بفتح فسكون وهو
جهم بن صفوان من أهل الكوفة وقد عقد ابن ماجة في أوائل سننه باباً
للرد عليهم وجهم من الجبرية الخالصة وهم القائلون بأن الإنسان مجبور غير
مخير فهو كالريشة في مهب الريح لا يملك من أمره شيئاً وعلى ذلك لا يعاقب
على المعصية ولا يثاب على الطاعة ومن نحلته أنه لا يجوز أن يوصف الباري
تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضى تشبهاً فنحن كونه حياً عالماً
وأثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل

الثاني شرك التمثيل وهو شرك من جعل معه الها آخر كالنصارى فى المسيح واليهود فى عزيز والجوس القائلين بإسناد حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة : وشرك القدريّة الجوسية مختصر منه وهؤلاء أكثر مشركى العالم وهم طوائف جمّة منهم من يعبد أجزاء (١) أرضية ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده أكبر الآلهة (٢) . ومنهم من يزعم أن الهه من جملة الآلهة : ومنهم من يزعم أنه اذا خصه بعبادته والتبتل اليه أقبل عليه واعتنى به : ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى (٣) يقربه الى الأعلى فوقانى والفوقانى يقربه الى من هو فوقه حتى يقربه تلك الآلهة الى الله سبحانه وتعالى فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل :

والخلق . وقد ظهرت بدعته بترمد وقتله سالم بن أحوز المازنى بمرور فى آخر ملك بنى أمية : وأصل مقالة التعطيل للصفات والأسماء مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين : وأول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة فى الاسلام الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت اليه : قيل إن الجعد أخذ مقالته بالتعطيل عن أبان بن سميان وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم اليهودى الساحر :

(١) كمن يعبد الجبال والأنهار والأشجار والحيوان كالبقر فى الهند والقط والعجل عند قدماء المصريين

(٢) كاشمس والقمر والنجوم

(٣) من الناس من يعبد آلهة عدة بعضها أعلى من بعض ، ويقرب ذلك الى الذهن ما كان عند العرب فى الجاهلية من أصنام كثيرة كان أكبرها وأعلاها الصنم دُبَل وكان بجوف الكعبة ومعه أصنام أخرى صغيرة وكان هبل الآله الأكبر وغيره من الأصنام آلهة صغيرة

فإذا عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرسول ﷺ على من أشرك به تعالى في الأفعال والأقوال والآراء كما تقدم ذكره انفتح لك باب الجواب عن السؤال ، فنقول اعلم أن حقيقة الشرك تشبيه الخالق بالخلق وتشبيه المخلوق بالخالق : أما الخالق فان المشرك شبهه المخلوق بالخالق في خصائص الالهية وهي التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى وسوى بين التراب ورب الارباب فإى فجور وذنب أعظم من هذا واعلم أن من خصائص الالهية الكمال المطابق من جميع الوجوه الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب أن تكون العبادة له وحده عقلا وشرعا وفطرة فمن جعل ذلك لغيره فقد شبهه الغير بمن لا شبيه له واشددة قبحه واتضمنته غاية الظلم أخبر من كتب على نفسه الرحمة انه لا يغفره أبداً ، ومن خصائص الالهية والعبودية التى لا تقوم إلا على ساق الحب والذل فمن أعطاها لغيره فقد شبهه بالله سبحانه وتعالى فى خالص حقه وقبح هذا مستقر فى العقول والفطر لكن لما غيرت الشياطين فطراً أكثر الخلق واجتالهم^(١) عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً^(٢) كما روى عن الله أعرف الخلق به وبخلقه عموا عن قبح الشرك حتى ظنوه حسناً ، ومن خصائص الالهية السجود فمن سجد لغيره فقد شبهه به : ومنها التوكل فمن توكل على غيره

(١) اجتالهم أى حوّلهم
 (٢) السلطان الحجة والدليل وسميت بذلك لأنها تقهر الخصم على التسليم بمقتضاها كما يقهر السلطان محكومته ويرغمه على التسليم بمطلوبه

فقد شبهه به . ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به : ومنها الحلف باسمه فمن حلف بغيره فقد شبهه به : ومنها الذبح له فمن ^(١) ذبح لغيره فقد شبهه به : ومنها حلق الرأس إلى غير ذلك :

هذا في جانب التشبيه وأما في جانب التشبيه فمن تعاضم وتكبر ودعى الناس إلى إطرائه ^(٢) ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان ويحمله كالنذر ^(٣) تحت أقدام خلقه : وفي الصحيح عنه عليه السلام أنه قال : يقول الله عز وجل العظمة إزارى ^(٤) والكبرياء ردائى فمن نازعنى في واحد منهما عذبت ^(٥) ،

(١) الذبح لغير الله لا يكون حراما إلا إذا ذكر اسم غير الله على المذبح أو قال الذابح باسم اللات أو باسم العزى أو باسم يزدان أو نحو ذلك أما إذا سكنت ولم يذكر اسم غير الله فلا يكون ذلك ذبحا لغيره ويكون أكله حلالا (٢) أى مدحه وتعظيمه

(٣) المراد بالنذر التراب

(٤) الأزار ما يستر نصف الجسم السفلى والرداء ما يستر نصفه العلوى ، ومعنى ذلك فى حق الله تعالى أنه مشتمل بالعظمة والكبرياء مختص بهما لا يشاركه فيهما أحد

(٥) الحديث أخرجه مسلم من رواية أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة بلفظ : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يقول الله) العز إزاره والكبرياء ردأوه فمن ينازعنى عذبت » ورواه البرقاني فى مستخرجه عن الطريق الذى أخرجه مسلم ولفظه « يقول الله عز وجل العز إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى شيئا منهما عذبت » ، ورواه أيضا أبو دأود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة بلفظ : « قال رسول الله صلى الله عليه

ولإذا كان المصور الذى يصنع الصور (١) بيده من أشد الناس عذاباً يوم القيامة لتشبهه بالله فى مجرد الصنعة فما الظن بالمشبه بالله فى الربوبية والإلهية كما قال صلى الله عليه وسلم « أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون يقال لهم أحيوا ما خلقتم » (٢) ، وفى الصحيح عنه صلى الله عليه

وآله وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحداً منهما قذفته فى النار ، : ومعنى نازعنى تخلق بذلك فيصير فى معنى المشارك : قال الخطابى فى المعالم معنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه وتعالى اختص بهما لا يشركه أحد فيهما ولا ينبغى لمخلوق أن يتعاطاهما لأن صفة المخلوق التواضع والتذال : وضرب الرداء والازار مثلاً فى ذلك يقول والله أعلم كما لا يشرك الانسان فى ردائه وازاره فكذلك لا يشركنى فى الكبرياء والعظمة مخلوق : والله أعلم

(١) الصور المحرمة هى صور ماله روح اذا كانت على هيئة يعيش بها أو كان القصد منها العبادة أو الزانى الى الله ، أو كانت سبيلاً الى الزانى والعبادة ولو بعد تقادم الزمان أما صور البحار والأنهار والأشجار والمناظر الطبيعية التى تدل على قدرة الله تعالى فلم يستحرامها بل ربما كان لصاحبها الثواب الجزيل اذا نوى بعمله اظهار قدرة الله تعالى وجميل صنعه

(٢) الحديث فى الصحيحين « عن عبد الله بن عمر قال سمعت النبی صلى الله عليه وآله وسلم يقول « ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون » ورواه النسائى أيضاً : وهذه الرواية لا يرد عليها شئ : وفى رواية لمسلم « ان من أشد أهل النار يوم القيامة عذاباً المصورون » وعليها يرد الاشكال النحوى من رفع اسم إن والجواب عنه : وفى الباب أحاديث كثيرة تفيد تحريم التصوير وعلة النهى ظاهرة :

وسلم أنه قال : يقول الله عز وجل « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى
فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة ^(١) » فنبه بالذرة والشعيرة على ماهو
أعظم منهما : وكذلك من تشبه به تعالى فى الاسم الذى لا ينبغى إلا له
ملك الملوك وحاكم الحكام وقاضى القضاة ونحوه وقد ثبت فى الصحيح
عن النبى ^{صلى الله عليه وسلم} أنه قال « إن أخنع ^(٢) الأسماء عند الله رجل تسمى
بشاهان شاه ملك الملوك لا مالك إلا الله » وفى لفظ « أغبط رجل
عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ^(٣) » وبالجملة فالتشبيه ^(٤) والتشبه

وقوله احيوا ما خلقتم أى اجعلوه حيوانا ذا روح وهذا الأمر يسمى أمر
تعجيز : ومعنى خلقتم قد رتم وصورتم :

(١) الحديث فى الصحيحين مطولاً عن أبى هريرة : وقوله « ومن أظلم »
أى لا أحد أظلم من ذكر حال كونه يخلق أى يصنع : والذرة بفتح الذال
المعجمة وتشديد الراء النملة الصغيرة : والغرض تعجيزهم تارة بخلق الجباد
وأخرى بخلق الحيوان :

(٢) أخنع أفعل تفضيل من الخنوع وهو الخضوع والذلة ، أى ان أذل
اسم وأحقره عند الله شاهان شاه وملك الملوك ونحو ذلك

(٣) هو فى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله
وسلم « قال أن أخنع اسم عند الله عز وجل رجل تسمى ملك الأملاك »
زاد ابن أبى شعبة فى روايته « لا مالك إلا الله عز وجل » قال الأشعثى قال
سفيان مثل شاهان شاه : وقال أحمد بن حنبل سألت أبا عمرو عن أخنع
فقال أوضع :

(٤) التشبيه . هو تشبيه الله تعالى بغيره باعتقاد أن غيره يقدر على فعل
شئ مما اختصاص به ، والتشبه . أن يشبه الشخص نفسه باله فى بعض الصفات «

هو حقيقة الشرك ولذلك كان من ظن أنه إذا تقرب إلى غيره بعبادة ما يقرب به ذلك الغير إليه تعالى فإنه يخطئ لسكونه شبهه به وأخذ ما لا ينبغي أن يكون إلا له فالشرك منه سبحانه وتعالى حقه فهذا قبيح عقلا وشرعا ولذلك لم يشرع ولم يغفر لفاعله .

واعلم أن الذي ظن أن الرب سبحانه وتعالى لا يسمع له أو لا يستجيب له إلا بواسطة تطلعه على ذلك أو تسأل ذلك منه فقد ظن بالله ظن السوء فإنه إن ظن أنه لا يعلم أو لا يسمع إلا بإعلام غيره له وإسماعه فلذلك نفي لعلم الله وسمعه وكال إدراكه وكفى بذلك ذنباً : وإن ظن أنه يسمع ويرى ولكن يحتاج إلى من يلبينه ويعطفه عليه فقد أساء الظن بأفضال ربه وبره وإحسانه وسعة جوده ، وبالجملة فاعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن ولهذا يتوعدهم في كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد كما قال تعالى (الظَّانِّينَ ^(١)) بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ

كالكبرياء والعظمة والتسلط على الناس ، ونفعهم وضرهم لاظهار القدرة على النفع والضرر ، فهذا شرك لأن الكبرياء والعظمة والتسلط والنفع والضرر اختص بها الله جل جلاله

(١) أول هذه الآية (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين) الآية وقد كان المنافقون والمشركون يظنون بالله ظن السوء فيعتقدون أن الله لن يحقق وعده لرسوله بنصره في الحرب ، وأن المسلمين سيهزمون وأن الرسول والمؤمنين لن يعودوا إلى أهلهم ، وقد ورد ذلك في سورة الأحزاب في قوله تعالى . « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ، وفي سورة الفتح أيضا وهي السورة التي وردت فيها الآية التي تتكلم فيها . في قوله تعالى « بل ظننتم أن لن ينقلب

وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١) وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام (أَنْفَكَا) (١) إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) أى فما ظنكم أن يجازيكم إذا عبدتم معه غيره وظننتم أنه يحتاج فى الاطلاع على ضرورات عباده لمن يكون باباً للحوائج اليه ونحو ذلك : وهذا بخلاف الملوك فانهم محتاجون إلى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين : فاما من لا يشغله سماع عن سماع وسبقت رحمته غضبه وكتب على نفسه الرحمة فما تصنع الوسائط عنده ، فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى فقد ظن به أقبح الظن ومستحيل أن يشرعه لعباده بل ذلك يمتنع فى العقول والفطر :

الرسول والمؤمنون إلى أهلهم ابدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فاعتقاد المنافقين عدم تحقيق الله وعده وصف له بالنقص ، واعتقاد الشخص أن الله يحتاج إلى وساطة حتى يجيب الدعاء أو يحقق الرجاء وصف له بالنقص أيضا وكلاهما ظن السوء بالله ، وكل من اعتقد فى الله نقصا أو احتياجا إلى الغير حتى يرحم أو يعطى فقد ظن به ظن السوء

(١) هذه الآية وردت على لسان إبراهيم عليه السلام يخاطب قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام ، وقد وصف إبراهيم عليه السلام عبادة غير الله بأنها إلفك أى كذب وضلال مبين ، ثم قال لقومه فما ظنكم برب العالمين ، استفهام توبيخى أى أتظنون بالله ظن السوء ، فتشركون به غيره لاعتقادكم أنه لا يجيب ما تطلبون من غير مساعد أو وسيط ؟

واعلم أن الخضوع والتأله الذى يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح
 فى نفسه كما قررناه لاسيما إذا كان المجعول له ذلك عبداً للملك العظيم
 الرحيم القريب المجيب ومملوكاً له كما قال تعالى (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ
 أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ
 فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) أى إذا كان أحدهم يأنف
 أن يكون مملوكه شريكه فى رزقه فكيف تجعلون لى من عبيدى شركاء
 فيما أنا منفرد به وهو الالهية التى لا تنبغى لغيرى ولا تصلح لسواى
 فمن زعم ذلك فما قدرنى حق قدرى ولا عظمى حق تعظيمنى ، وبالجملة
 فما قدر الله حق قدره من عبد معه من ظن أنه يوصل اليه قال تعالى
 (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا) الآية إلى أن قال (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ
 اللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ) وقال تعالى (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ
 جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 عَمَّا يُشْرِكُونَ) فما قدر القوى العزيز حق قدره من أشرك معه
 الضعيف الذليل :

واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع وجدت أصل
 ضلالهم راجعاً إلى شيئين : أحدهما الظن بالله ظن السوء : ولم يقدرُوا
 الرب حق قدره فلم يقدره حق قدره من ظن أنه لم يرسل رسولا ولا
 (٣ - تجريد)

أنزل كتاباً بل ترك الخلق سدى وخلقهم عبثاً^(١) ولا قدره حق قدره من نفى^(٢) عموم قدرته وتعلقها بأفعال عبادته من طاعتهم ومعاصيهم وأخرجهما عن خلقه وقدرته ولا قدر الله حق قدره أضداد هؤلاء الذين قالوا إنه يعاقب عبده^(٣) على ما لم يفعل ، بل يعاقبه على فعله سبحانه وتعالى : وإذا استحال في العقول أن يجبر السيد عبده على فعل ثم يعاقبه عليه فكيف يصدر هذا من أعدل العادلين : وقول هؤلاء شر من أشباه المجوس القدرية الأذلين : ولا قدره حق قدره من نفى رحمته^(٤) ورضاه

(١) وهؤلاء هم الملاحدة الذين يعتقدون ألاّ رسل ولا كتب وأن الله اكتفى بخلق الخلق ، وسيعرفه من جاد عقله ، وينكره من أظلمت بصيرته ، ولم يرتب الله على ذلك شيئاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً
(٢) هؤلاء هو القدرية السابقون الذين يقولون إن العبد يخلق أفعال نفسه كلها أو يخلق الشر والله يخلق الخير .

(٣) هؤلاء هم الجبرية الذين يقولون إن العبد لا اختيار له وأنه كالريشة في مهب الريح ، يسيره الله كيف يشاء ، فالله هو الذى بوجهه إلى الخير وإلى الشر ، وكلاهما فعل الله والعبد لا فعل له ولا اختيار ، ويترتب على ذلك أن يعذب الله العبد على الشر وهو مجبور عليه ، وقد ردّ عليهم الشيخ المقرئ بقوله « بل يعاقبه على فعله » الخ .

(٤) يريد الشيخ بهذا الصنف المؤلفين الذين يؤولون صفات الله التي لا يليق مثلها في الحوادث بالإله كالرحمة والرضى والغضب والمحبة والعجب والضحك كما ورد في بعض الأحاديث أن الله يعجب من شاب لا صبوة له ويضحك الله من رجلين يقتتلان ثم يدخلان الجنة ونحو ذلك مما ورد من الصفات وله نظير في الحوادث وهذا النظير لا يليق بالله ، فقد أولوا هذه الصفات

ومحبته وغضبه وحكمته مطلقاً^(١) وحقيقة فعله لم يجعل له فعلاً اختيارياً بل أفعاله منفصلة عنه : ولا قدره حق قدره من جعل له صاحبة وولداً وجعله يحل^(٢) في مخلوقاته أو جعله عين^(٣) هذا الوجود : ولا قدره حق قدره من قال إنه رفع أعدام رسوله وأهل بيته^(٤) وجعل فيهم الملك ووضع^(٥) أولياء رسوله وأهل بيته وهذا يتضمن غاية القدح في

وجعلوا الرحمة والرضى والمحبة بمعنى النعيم والغضب والسخط بمعنى العذاب والمعجب برفعة مكانة الشاب عند الله ، والضحك بمعنى التجلي عليهم ما تنعيمهما ونحو ذلك ، وقد أراد الشيخ بنى هذه الصفات أن تأويلها ينفيها ويثبت بدلها صفات أخرى ومن يفعل ذلك لا يكون قدر الله حق قدره ، وإنما يجب إثبات هذه الصفات واعتقاد أنها مخالفة لصفات الخلق .

(١) هؤلاء هم الفلاسفة القائلون إن الله خلق العقول العشرة وتركها تؤثر في الكون فكل ما يحدث في العالم مفعول لله بواسطة هذه العقول ، وهذا يؤدي الى عدم الحكمة والاختيار لأن الحوادث والأفعال تصدر عن العقول صدوراً آلياً كما يقولون .

(٢) هؤلاء هم الحلوليون الذين يقولون إن الله يحل في بعض المخلوقات فينقلب المخلوق الى اله وهو رأى باطل كلاحقه ، لأنه يقتضى أن الانسان أو الشجرة التي يحل فيها الاله وهذا سخف لا يعقل .

(٣) هؤلاء أهل وحدة الوجود القائلون بأن العالم من ذات الاله فكل شيء منه يصدق عليه أنه كما سبق من قول بعض الفلاسفة ما في الجبة الا الله (٤) هؤلاء هم الملحدين المنكرون لوجود الله . يقولون لو كان الله

موجوداً فكيف ينصر بنى أمية على عليٍّ وأهل البيت ، وهم قسم من غلاة الشيعة أدى بهم غلوهم في التشيع الى الكفر والاثم العظيم .

(٥) أى جعل مكانتهم وضعية حقيرة

الرب تعالى الله عن قول الرافضة : وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في قول رب العالمين إنه أرسل ملاحا ظالما فادعى النبوة وكذب على الله ومكث زمنا طويلا يقول أمرني بكذا ونهاني عن كذا ويستبيح دماء أبناء الله وأحبائه والرب تعالى يظهره ويؤيده ويقيم الأدلة والمعجزات على صدقه ويقبل بقلوب الخلق وأجسادهم إليه ويقيم دولته على الظهور والزيادة ويذل أعداءه أكثر من ثمان مائة عام : فوازن بين قول هؤلاء وقول إخوانهم من الرافضة تجد القولين سواء : ولا قدره حق قدره من زعم أنه لا يحيى^(١) الموتى ولا يبعث من في القبور ليبين لعباده الذى كانوا فيه يختلفون وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين .

وبالجملة فهذا باب واسع والمقصود أن كل من عبد مع الله غيره فانما عبد شيطانا قال تعالى (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنَى آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) فما عبد أحد أحد من بنى آدم كائنا من كان إلا وقد وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له وإشراكه مع الله تعالى وذلك غاية رضى الشيطان ولهذا قال تعالى (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ^(٢) قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ)

(١) هؤلاء قسم من الملحدين يعتقدون أن الله خلق الخلق لبيان قدرته ولكنه لا يحييهم بعد موتهم ولا يحاسبهم اكتماء بإظهار القدرة فى الدنيا .
(٢) الخطاب هنا لشياطين الجن وهم أعوان إبليس الذين يساعدونه فى إغواء الناس وتهيمه سبل الفساد لهم ، ومن الجن مسلمون صالحون يعبدون الله ويتعرضون لإغواء الجن الآخرين المفسدين كما يتعرض لآغوائهم مسلمون

أَيُّ مَنْ اغْوَاهُمْ وَإِضْلَاهُمْ) وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ (١) خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) فهذه إشارة لطيفة إلى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله وأنه لا يغفر بغير التوبة منه وأنه موجب للخلود في العذاب العظيم وأنه ليس تحريره قبضه بمجرد النهي عنه فقط بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى أن يشرع لعباده عبادة إله غيره كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله .

واعلم أن الناس في عبادة الله تعالى والاستعانة به أقسام أجملها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها : فعبادة الله غاية مرادهم : وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها نهاية مقصودهم ولهذا كان أفضل ما يسأل الرب تعالى الإعانة على مرضاته (٢) وهو الذي عليه

الانس فن أطاع الإغواء دخل في العصاة المستحقين للعذاب ومن عصمه الله نجا ودخل في الصالحين الذين يجزون الحسنات ، وقد بين الله تعالى ذلك في سورة الجن فقال على لسانهم : «أنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ، والقاسطون الجاثرون الحائدون عن الطريق المستقيم وقال تعالى في آية أخرى من سورة الجن أيضاً على لسان الجن : «أنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً ، أي طرائق مختلفة متشعبة .

(١) مثواكم أي مكان ثوائكم وإقامتكم الدائمة .

(٢) بامثال الأوامر واجتناب النواهي والحب لطاعته والبغض لمعصيته

النبي ﷺ لمعاذ بن جبل فقال : يا معاذ والله إنني أحببك فلا تدع أن تقول في دُبُرِ كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ^(١) .
فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته تعالى : ويقابل هؤلاء القسم الثاني المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة لهم ولا استعانة بل إن سأله تعالى أحدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته والله سبحانه وتعالى يسأله من في السموات والأرض ويسأله أولياؤه وأعداؤه فيمده هؤلاء وهؤلاء وأبغض خلق الله إبليس ومع هذا أجاب سؤاله ^(٢) وقضى حاجته ومتعه بها ولكن لما لم تكن عوناً على مرضاته كانت زيادة في شقوته وبعده : وهكذا كل من سأله تعالى واستعان به على ما لم يكن عوناً له على طاعته كان سؤاله مبعداً له عن الله فليتدبر العاقل هذا وليعلم أن إجابة الله لسؤال بعض السائلين ليست لكرامته عليه بل قد يسأله

وكان من دعاء الرسول ﷺ بعد التحيات : اللهم ارزقني من اليقين بك ما يحببني في طاعتك ومن خشيتك ما يمنعني عن معصيتك ، ومن دعائه قبل قراءة الفاتحة : اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد ، يريده ﷺ بغسله بالماء وبالثلج وهو الجامد والبرد وهو الماء المنعقد حبات صغيرة أن ينظفه تمام النظافة من المعاصي وقذارتها .

(١) خرجه أبو داود وأحمد بن حنبل ورواه النسائي بمسند قوى على ما قاله ابن حجر في كتابه بلوغ المراد من أدلة الأحكام .

(٢) هو قوله رب أنظرني إلى يوم يبعثون ، فقال الله تعالى له : فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ، فلما أجاب الله سؤاله قال : فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين .

عبده الحاجة فية ضيها له وفيها هلاكه ويكون منعه منها حماية له (١)
وصيانة والمعصوم من عصمه الله والإنسان على نفسه بصيرة :

وعلاوة هذا أنك ترى من صانه الله من ذلك وهو يحجل حقيقة
الأمر إذا رآه سبحانه وتعالى يقضى حوائج غيره يسىء ظنه به تعالى
وقلبه محشوب ذلك وهو لا يشعر : وأمرة ذلك حمله على الأقدار وعتابه
في الباطن لها ولقد كشف الله تعالى هذا المعنى غاية الكشف في قوله
تعالى (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي
أَكْرَمَنِي وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا)
أى ليس كل من أعطيته ونعمته وخولته (٢) فقد أكرمه وما ذاك لكرامته
على ولكنه ابتلاء منى وامتحان له أيشكرنى فأعطيه فوق ذلك أم
يكفرن فأسلبه إياه وأحوله عنه لغيره وليس كل من ابتليته فضيقت
عليه رزقه وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذاك من هو انه على ولكنه
ابتلاء وامتحان منى له أيبصر فأعطيه أضعاف مافاته أم يستخط فيكون
حظه السخط : وبالجملة فأخبر تعالى أن الإكرام والإهانة لا يدوران على
المال وسعة الرزق وتقديره فانه سبحانه وتعالى يوسع على الكافر
للكرامته ويقتصر على المؤمن لاهوانه عليه وإنما يكرم سبحانه وتعالى
من يكرم من عباده بأن يوفقه لمعرفة ومحبته وعبادته واستعانتة : بغاية

(١) فلا يحزن العبد إذا لم يجبه الله تعالى إلى ما طلب لأنه عالم بكل شىء
حكيم فيما يعطى ويمنع ، بل يجب عليه الرضى بما قسمه الله له مع الإيقان بأن
الخير فيما اختاره الله (٢) معنى خولته أعطيته وقد ورد ذلك فى قوله تعالى
« فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرُّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى
عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ »

سعادة الأبد في عبادة الله والاستعانة به عليها :

القسم الثالث من له نوع عبادة بالاستعانة وهؤلاء نوعان : أحدهما أهل القدر القائلون بأنه سبحانه وتعالى قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف وأنه لم يبق في مقدوره إعانة على الفعل فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وإرسال الرسول وتمكينه من الفعل فلم يبق بعدها إعانة مقدورة يسأله إياها^(١) وهؤلاء مخذولون موكلون إلى أنفسهم مسدود عليهم طريقة الاستعانة والتوحيد : قال ابن عباس رضى الله عنهما الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض توحيده : النوع الثاني من لهم عبادة وأوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة^(٢) لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر وأنها بدون المقدور كالموت الذى لا تأثير له بل كالعدم الذى لا وجود له وأن القدر كالروح المحرك لها والمعوّل على المحرك الأول فلم تنفذ بصائرهم من السبب إلى المسبب ومن الآلة إلى الفاعل فقلّ نصيبهم من الاستعانة : وهؤلاء لهم نصيب من التصرف بحسب

(١) يقول هؤلاء إن العبد يخلق أفعال نفسه من الطاعات والمعاصى وهى مخلوقة لله بواسطة إقدار العبد عليها لا مباشرة وعلى ذلك فقد ترك الله العبد بعد أن خلق فيه الآلات ووسائل الفعل وهياً له سبيله ، وهذاه النجدين بإرسال الرسل فالعبد متروك لاختياره وكل فعل يصدر عنه ناشئ من ذاته وبقدرته فلا داعى للاستعانة به على العبادة وترك المعصية لأن الله قد أعانه على ذلك بما أقدره على العمل والترك .

(٢) أى أنهم يفعلون الطاعات ولا يفكرون فى طلب عون الله لهم عليها لعدم ثبات قدمهم فى التوحيد والتوكل .

استعانتهم وتوكلهم ونصيب من الضعف والخذلان بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه لأزاله :

فان قيل ما حقيقة الاستعانة عملاً : قلنا هي التي يعبر عنها بالتوكل ^(١) وهي حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله تعالى وتفرده بالخلق والامر والتدبير والضر والنفع وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فتوجب اعتمادا عليه وتفويضاً اليه وثقة به فتصير نسبة العبد اليه تعالى كنسبة الطفل إلى أبويه فيما ينوبه من رغبته ورهبته فلو دهمه ماعسى أن يدهمه من الآفات لم يلتجئ إلى غيرهما : فان كان العبد مع هذا الاعتماد من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) أي كافيته .

القسم الرابع من له استعانة ^(٢) بلاعبادة وتلك حالة من شهد بتفرد

(١) وحقيقة التوكل هي أن يلجأ العبد في كل أموره صغيرها وكبيرها إلى الله كما يلجأ الطفل إلى أبويه في كل أموره كما سيأتى للعلامة المؤلف .
(٢) هذا هو المتوكل على الله في كل أموره المعتقد تفرده بالنفع والضرر فيلجأ إليه في حظوظه الدنيوية حتى ما كان منها معصية . واسكنه لا يفعل الطاعات ، وهذا الصنف من الناس فقد عنصرا من عناصر الايمان وهو العمل لان الايمان قول باللسان وعمل بالجوارح واعتقاد بالقلب ، والعمل ركن مهم من أركان الايمان من فقد فقد الشواب والنعم في الآخرة لان الله تعالى جعل الشواب على عمل الطاعات ، ولذلك قال الشيخ المقرئ فذلك حظه من دنياه وآخرته .

الله بالضر والنفع ولم يدر بما يحبه ويرضاه فتوكل عليه في حظوظه فاسعفه بها : وهذا لاعاقبة له سواء كانت أموالا أو رياسات أو جاهاً عند الخلق أو نحو ذلك فذلك حظه من دنياه وآخرته :

واعلم أن العبد لا يكون متحققاً بعبادة الله تعالى إلا بأصلين ، أحدهما متابعة الرسول ﷺ ، والثاني إخلاص العبودية : والناس في هذين الأصلين على أربعة أقسام : أهل الإخلاص والمتابعة فأعمالهم كلها لله وأقوالهم ومنعهم وإعطائهم وجههم وبغضهم كل ذلك لله تعالى لا يريدون من العباد جزاء ولا شكوراً ، عدوا الناس كاصحاب القبور لا يملكون ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً : فانه لا يعامل أحداً من الخلق إلا لجهله بالله وجهله بالخلق : والإخلاص هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل عملاً صواباً عارياً منه وهو الذي ألزم عباده به إلى الموت قال الله تعالى (لَيَبْلُوَنَّكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) وقال (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) وأحسن العمل إخلاصه وأصوبه . فالخلاص أن يكون لله والصواب أن يكون على وفق سنة رسول الله ﷺ وهذا هو العمل الحسن المذكور في قوله تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) وهو العمل الصالح في قوله تعالى (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) وهو الذي أمر به النبي ﷺ في قوله « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » ، ^(١) وكل عمل بلا متابعة فانه لا يزيد

(١) أخرجه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها بلفظ قالت

عامله إلا بعدا من الله تعالى فان الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالاهواء والآراء .

الضرب الثاني من لا إخلاص له ولا متعابذة (١) له وهؤلاء شرار الخلق وهم المتزينون بأعمال الخير يراؤون بها الناس وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط المستقيم من المنتسبين إلى الفقه والعلم والفقر والعبادة فانهم يرتكبون البدع والضلال والرياء والسمعة ويحبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا : وفي أضراب هؤلاء نزل قوله تعالى (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد » ، وفي رواية لمسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » ، وأخرجه أيضا أبو داود وابن ماجه : وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الاسلام فكل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء . هذا منطوق الحديث ، ومفهومه كل عمل عليه أمره فهو غير مردود : والمراد بأمره ههنا دينه وشرعه : وفيه إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها فمن كان عمله جاريا تحت أحكام الشريعة موافقا لها فهو مقبول ومن كان خارجا عن ذلك فهو مردود : والله أعلم .

(١) أي لا يخلص عمله لله ولا يتبع رسوله وإنما يتبع هواه فيبتدع ما يأتي على هواه رغبة في الشهرة وحسن السمعة في الدنيا أو لكسب المال والجاء والمراكز في الدولة وقد بين المؤلف بعض هذا الصنف .

الضرب الثالث من هو مخلص في أعماله لكنه على غير متابعة الأمر كجهال^(١) العباد والمنسبين إلى الزهد والفقر وكل من عبد الله على غير مراده : والشأن ليس في عبادة الله فقط بل في عبادة الله كما أراد الله : ومنهم من يكثر في خلواته تاركا للجمعة ويرى ذلك قرينة ويرى مواصلة صوم النهار والقيام بالليل قرينة وأن صيام يوم الفطر قرينة وأمثال ذلك .

الضرب الرابع من أعماله على متابعة الأمر لكنه لغير الله تعالى كطاعات المرائين : وكالرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية^(٢) وشجاعة

(١) هذا الصنف يخلص لله ولا يعمل إلا لوجهه ولكنه جاهل بالسنة غير فاهم لأحكام الدين فينحرف عن الطريق المستقيم ويعتقد أن ذلك هو الدين ، ومن هذا الصنف في زماننا هذا من يتركون كثيرا من الصلوات ويقولون الله أعلم بالقلوب ، يظنون أن الدين إيمان بالقلب فقط ، ومن يزيدون في العبادة المسنونة اعتقادا بأن ذلك خير كن يصلي بعد العصر نفلا مطلقا فإذا نهى عن ذلك ، قال وهل الصلاة مكروهة هذا خير والزيادة في الخير لا بأس بها ، ومن ذلك ما ذكر المؤلف من مواصلة الصيام وقيام الليل وترك حق البدن والزوجة وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك أبا سلمة رضي الله عنه وقال له « إن لبدنك عليك حقا ولزوجك عليك حقا ولربك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه ، ومن ذلك من يتركون أكل الطيبات التي أحلها الله حتى يضعفوا عن العبادة ، ويتركون التمتع بالنساء وهذا قد نهى الرسول ﷺ عن ذلك وقال مامعناه إنه هو أفضل الخلق وأولاهم بالزهد والعبادة ومع ذلك فهو يصوم ويفطر ويأتى النساء .

(٢) القتال للحمية أن يقاتل الرجل غيره على أهله أو وطنه أن يستبيحهما

وللمغرم ، ويحج ليقال ويقرأ ليقال ويعلم ويؤاف ليقال (١) فهذه أعمال
صالحة لكنها غير مقبولة قال تعالى (وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) فلم يؤمر الناس إلا بالعبادة على المتابعة
والإخلاص فيها : والقائم بهما هم أهل (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)
ثم أهل (٢) مقام (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) لهم في أفضل العبادة وأنفعها
وأحقها بالايثار والتخصيص أربعة طرق وهم في ذلك أربعة أصناف ،
الصنف الأول عندهم أنفع العبادات وأفضلها أشقها على النفوس وأصعبها
قالوا لأنه أبعد الأشياء من هواها وهو حقيقة التعبد والاجر على
قدر المشقة ورووا حديثا ليس له أصل ، أفضل الأعمال أحجزها (٣) .

الاعداء ، والقنال للشجاعة أن يقاتل ليقال إنه شجاع والقتال للمغرم أن
يقاتل طمعا فيما يغنمه ويكسبه من الاعداء ، ولا يريد بذلك وجه الله وهذا
لا فائدة له من قتاله إلا ما أراد ، ويوم القيامة يسكله الله إلى غرضه ويقال له
كنت تقاتل ليقال فلان شجاع فقد قيل .

(١) أى ليقال فلان حج وفلان قرأ وفلان علم وأتف الخ فتواب فاعل
هذا ما قيل عنه في الدنيا وليس له في الآخرة شيء .

(٢) هم الذين أسلموا وجوههم إلى الله وأخلصوا له قلوبهم ، لا يتوكلون
إلا عليه ولا يشركون معه غيره في الحب .

(٣) مثل ذلك ما يردده جهال الناس في هذه الأيام من قولهم ، الشواب
على قدر المشقة ، ويتحملون في عبادتهم المشاق التي ليست مطلوبة في
العبادات ولم يأمر بها الله ، كأن يتجشموا المسير مسافات بعيدة ليصلوا في
مسجد بعيد ويجوارهم المساجد كثيرة ، أو يتجشموا مشاق الحج سيرا على

أى أصعبها وأشقها وهؤلاء هم أرباب المجاهدات والجور على النفوس قالوا وإنما تستقيم النفوس بذلك إذ طبعها الكسل والمهاونة والإخلاد إلى الراحة فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال وتحمل المشاق ، الصنف الثاني قالوا أفضل العبادات وأنفعها التجرد والزهد في الدنيا والتقلل

الأقدام وقد خلق الله السفن والسيارات والطائرات المريحة ومنهم من يعتمد الحج راكبا جملا ولا يركب السيارة لأن في ركوب الجمل مشقة وأمثال ذلك كثيرة ، وهؤلاء واهمون ، فتوابهم مع الصلاة في المسجد البعيد كشوابهم في المسجد القريب ، إلا أن تكون في البعيد مزية دينية كأن يكون إمام المسجد البعيد أروع من الإمام القريب أو أعلم منه أو أقرأ فيزيد ثوابهم ، أو تكون خطبته أو عظه من خطيب المسجد القريب أو يكون المسجد القريب مقاما على قبر والبعيد خال من القبر أو نحو ذلك فلمهم مزيد من الثواب بما تحملوا من المشقة في الذهاب إلى البعيد ، وكذلك الذي يحج راكبا جملا لا يزيد ثوابه على راكب السيارة ، ومن حج ماشيا لا يزيد ثوابه على الراكب إلا أن يكون نذر الحج ماشيا ، فيزيد له ثواب النذر لأنه قربته لله تعالى لثواب ، وإنما يكون الثواب على قدر المشقة فيما كلفنا الله به ولم نكلف به أنفسنا في غير النذر ، كشواب الصيام مع المشقة المحتملة أو مع المرض الذي لا يضره الصوم ولكن يتألم صاحبه منه أثناء الصيام وكالصوم في السفر فقد أباح الله المريض والمسافر الفطر فاذا صام وتحمل فله ثواب أكثر من الصائم المقيم الصحيح ، لأن الله تعالى يقول « فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » ثم قال بعد ذلك « وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » فبين أن الصيام مع تحمل المشقة أفضل فيجازى متحمل المشقة بما تحمل في هذا .

منها غاية الامكان واطراح الاهتمام بها وعدم الاكتراث لما هو منها :
ثم هؤلاء قسيمان فعوامهم ظنوا أن هذا غاية فشمروا اليه وعملوا عليه
وقالوا هو أفضل من درجة العلم والعبادة ورأوا الزهد في الدنيا غاية
كل (١) عبادة ورأسها، وخواصهم رأوا هذا مقصودا لغيره وأن
المقصود به عكوف القلب على الله تعالى والاستغراق في محبته والاناة
اليه والتوكل عليه والاشتغال بمرضاته فرأوا أفضل العبادات دوام
ذكره بالقلب (٢) واللسان : ثم هؤلاء قسيمان فالعارفون إذا جاء الأمر
والنهي بادروا اليه ولو فرقههم وأذهب جمعهم، والمنحرفون منهم يقولون :
المقصود من القلب جمعيته فاذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفتوا
اليه ويقولون :

يطالب بالأوراد من كان غافلا فكيف بقلب كل أوقاته ورد

ثم هؤلاء أيضا قسيمان منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيته :
ومنها من يقوم بها ويترك السنن والنوافل ويعلم العلم النافع لجمعيته :
والحق أن الجمعية حظ القلب : وإجابة داعي الله حق الرب فمن آثر

(١) وهؤلاء لم يوفقوا لأنه يجب على العبد أن يأخذ نصيبه من الدنيا
الذي يجعله حيا عاملا في الحياة ولا يتركها جملة ، وقد قال تعالى لقارون
« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وعدم
أخذ العبد بنصيبه من الدنيا يفقده مزية الحياة ويصبح شخصا منعزلا عن
الناس ولا تستقيم الدنيا ولا تسير كما أراد الله إلا إذا أخذ كل فرد بنصيبه
منها ، وانحرف الناس عن ذلك تعطيل لارادة الله وبعد عن مرضاته .

(٢) مع أخذ نصيبهم من الدنيا

حق نفسه على حق ربه فلم يس من العبادة في شيء ، الصنف الثالث رأوا
أن أفضل العبادات ما كان فيه نفع متعدد فرأوه أفضل من النفع القاصر ،
فرأوا خدمة الفقراء والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم
ومساعدتهم بالجاء والمال والنفع أفضل لقوله ﷺ « الخلق عيال الله
وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » ^(١) قالوا وعمل العابد قاصر على نفسه
وعمل النفع متعد إلى الغير فأين أحدهما من الآخر : ولهذا كان فضل
العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب : وقد
قال ﷺ لعلي « لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير من حمر النعم » ^(٢)
وقال « من دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من
غير أن ينقص من أجورهم شيئا » ^(٣) وقال « إن الله وملائكته يصلون

(١) لا بد مع نفع الناس ومساعدتهم من القيام بالواجبات التي فرضها الله
من الصلاة والصيام والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك
فإذا ترك الشخص هذه الواجبات واشتغل بحباب المصالح للخلق ، كان آثما فيما
ترك فاقدا أشوابه مستحقا للعقاب على الترك وقد لا يعادل ثواب نفع الناس
عقاب ترك الواجبات فيكون فاعل ذلك مقصرا محسرا وهذا الحديث رواه
الطبراني في معجمه .

(٢) رواه ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم وفضله عن سهل بن
سعد الطبراني في المعجم الكبير عن أبي رافع بلفظه « لأن يهدي الله علي
يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت »

(٣) هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم قال « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا
ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام

على معلمى الناس الخير ، ^(١) وقال « إن العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى البحر والنملة فى جحرها ، قالوا وصاحب العبادة إذا مات انقطع عمله وصاحب النفع لا ينقطع عمله مادام نفعه ^(٢) الذى تسبب فيه : والأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما بعثوا

من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا »

(١) الحديث رواه الترمذى عن أبى أمامة مطولا وقال حديث حسن صحيح : ورواه البزار من حديث عائشة مختصرا « قال معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان فى البحر ، وقد ورد فى مدح العلم والعلماء أحاديث كثيرة تبلغ حد التواتر : والمراد بالعلم العلم النافع الذى تظهر آثاره بالمتصف به عملا وليس المراد به علم أكثر أهل الزمان المجرد عن العمل به والاخلاص .

(٢) عدم انقطاع ثواب المتسبب فى النفع مقيد بالنفع المستمر بعد موت صاحبه بشرط أن يكون علما ينفع أو صدقة جارية أو سنة حسنة فى الدين ، والدليل على ذلك قول الرسول ﷺ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ، وقوله ﷺ « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ، وحديث مسلم الذى مر فى الصفحة السابقة ، أما النفع المنقطع كالصدقة فى حياة الميت فقط ، وكذلك من علم الناس خيرا دنيويا يستمر نفعه بعد موته كمن اخترع السيارة أو الطائرة اذا كان مسلما ، ومن اخترع آلة لقطع الخشب بسرعة أو آلة حاسبة أو نحو ذلك فلا يستمر ثوابه بعد موته بل ينقطع بمجرد الموت .

بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع ولهذا أنكر النبي ﷺ على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع والتعبد وترك مخالطة الناس : ورأى هؤلاء أن التفرغ لنفع الخلق أفضل من الجمعية على الله بدون ذلك قالوا ومن ذلك العلم والتعليم ونحو هذه الأمور الفاضلة :

الصنف الرابع قالوا أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب سبحانه وتعالى وشغل كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته : فأفضل العبادات في وقت الجهاد الجهاد وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار بل من ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن : والأفضل في وقت حضور الضيف القيام بحقه والاشتغال به : والأفضل في وقت السحر الاشتغال بالصلاة والقرآن والذكر والدعاء : والأفضل في وقت الأذان ترك ما هو فيه من الأوراد والاشتغال بإجابة المؤذن : والأفضل في أوقات الصلوات الخمس الجد والاجتهاد في إيقاعها على أكمل الوجوه والمبادرة إليها في أول الوقت والخروج إلى المسجد وإن بعد : والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج المبادرة إلى مساعدته بالجاء والمال والبدن : والأفضل في السفر مساعدة المحتاج وإعانة الرفقة وإيثار ذلك على الأوراد والخلوة : والأفضل في وقت قراءة القرآن جمعية القلب والهمة على تدبره والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك : والأفضل في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر : والأفضل في أيام عشر ذي الحجة الاكثار من التعبد لاسيما التكبير والنهليل

والتحميد وهو أفضل من الجهاد غير المتعين والأفضل في العشرة
 الأواخر من رمضان لزوم المساجد والخلو فيها مع الاعتكاف
 والإعراض عن مخالطة الناس والاشتغال بهم حتى أنه أفضل من الإقبال
 على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء : والأفضل في
 وقت مرض أخيك المسلم أو موته عيادته وحضور جنازته وتشيعه
 وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيته : والأفضل في وقت نزول النوازل
 وإيذاء الناس لك أداء واجب الصبر مع خلطتك لهم والمؤمن الذي
 يخالط الناس ويصبر على أذاهم أو إيذائهم أفضل من المؤمن الذي
 لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم : وخلطتهم في الخير أفضل من عزلتهم
 فيه وعزلتهم في الشر أفضل من خلطتهم فيه : فإن علم أنه إذا خالطهم
 أزاله ^(١) وقلله خلطتهم خير من اعتزالهم وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق
 والأصناف التي قبلهم أهل التعبد المقيد فتي خرج أحدهم عن الفرع
 الذي تعلق به من العبادة وفارقه يربى نفسه كأنه قد نقص ونزل عن
 عبادته فهو يبد الله تعالى على وجه واحد وصاحب التعبد المطلق ليس
 له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره بل غرضه تتبع مرضات الله
 تعالى : إن رأيت العلماء رأيته معهم وكذلك في الذاكرين : والمتصدقين
 وأرباب الجمعية وعكوف القلب على الله فهذا هو الغذاء الجامع للساير
 إلى الله في كل طريق والوافد عليه مع كل فريق : واستحضر ههنا حديث
 أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقول النبي ﷺ بحضوره هل منكم
 أحد أطعم اليوم مسكيناً قال أبو بكر أنا قال هل منكم أحد أصبح

(١) قوله أزاله وقلله أى الشر المتقدم ذكره قبل :

اليوم صائما قال أبو بكر أنا قال هل منكم أحد عاد اليوم مريضا قال أبو بكر أنا قال هل منكم أحد اتبع اليوم جنازة قال أبو بكر أنا، (١) الحديث : هذا الحديث روى من طريق عبد الغنى بن أبي عقيل حدثنا نعيم ابن سالم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ جالسا في جماعة من أصحابه فقال من صام اليوم قال أبو بكر أنا قال من تصدق اليوم قال أبو بكر أنا قال من عاد اليوم مريضا قال أبو بكر أنا قال من شهد اليوم جنازة قال أبو بكر أنا قال وجبت لك . يعنى الجنة : ونعيم بن سالم وإن تُكَلِّم فيه لـسكن تابعه سلمة ابن وردان وله أصل صحيح من حديث مالك عن محمد ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ قال من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة نودي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد نودي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان فقال

(١) الحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه وأورده الحافظ عبد العظيم المنذرى في كتابه الترغيب والترهيب وسكت عنه : ولفظه عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « من أصبح منكم اليوم صائما فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا فقال من أطعم منكم اليوم مسكينا فقال أبو بكر أنا فقال من تبع منكم اليوم جنازة فقال أبو بكر أنا فقال من عاد منكم اليوم مريضا فقال أبو بكر أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل إلا دخل الجنة .

أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله ماعلى من يدعى من هذه الأبواب كلها من ضرورة فهل يدعى أحد من هذه الأبواب كلها قال نعم وأرجوا أن تكون منهم ، ^(١) هكذا رواه عن مالك موصولا مسندا عن يحيى بن يحيى ومعن بن عيسى وعبد الله بن المبارك : ورواه يحيى بن بكير وعبد الله بن يوسف عن مالك عن ابن شهاب عن حميد مرسلا : وليس هو عند القعنبي لامر سلا ولا مسندا : ومعنى قوله « من أنفق زوجين » يعنى شيئين من نوع واحد نحو درهمين ^(٢) أو دينارين أو غرسين أو قيصين : وكذلك من صلى ركعتين أو مشى في سبيل الله تعالى خطوتين أو صام يومين ونحو ذلك : وإنما أراد والله أعلم أقل التكرار وأقل وجوه المداومة على العمل من أعمال البر لأن الاثنين أقل الجمع فهذا ^(٣) كالغيث أين وقع نفعه سبحانه الله بلا خلق وصحب الخلق بلا نفس إذا كان مع الله عزل الخلائق من اليبين ^(٤) وتخلي عنهم وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط ^(٥) وتخلي عنها فما أغربه بين الناس

(١) خرجه البخارى في صحيحه في غير موضع : ومسلم والنسائى والترمذى

(٢) ورد في بعض روايات البخارى مفسرا هكذا « من أنفق زوجين في سبيل الله درهمين شاتين .

(٣) اسم الإشارة راجع إلى الصنف الرابع العامل في كل وقت بالافضل في ذلك الوقت .

(٤) أى عزل الخلائق وأبعدهم من الوجود بينه وبين الله .

(٥) أى أخرج نفسه من وسط الخلق ولم يفكر فيها وإنما يفكر في مصالح الناس وجلب النفع ومشاركتهم في سرائرهم وضرائرهم وتخفيف مصائبهم لانه يرى في ذلك استمرارا لاتصاله بربه ، فهو دائما مع الله يوجد مع الناس بحسبه

وما أشد وحشته منهم وما أعظم أنسه بالله وفرحه به وطمأنينته
وسكونه إليه :

واعلم أن للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرقاً أربعة
وهم في ذلك أربعة أصناف ، الصنف الأول نفاة ^(١) الحكم والتعليل
الذين يردون الأمر إلى نفس المشيئة وصرّف الإرادة فهو لاء عندهم
القيام بها ليس إلا لمجرد الأمر من غير أن يكون سبباً لسعادة في معاش
ولا معاد ولا سبباً لنجاة وإنما القيام بها لمجرد الأمر ومحض المشيئة
كما قالوا في الخلق لم يخلق لغاية ولا لعلة هي المقصودة به ولا لحكمة
تعود إليه منه وليس في المخلوق أسباب تكون مقتضيات لمسيباتها
وليس في النار سبب للإحراق ولا في الماء قوة الإغراق ولا التبريد :
وهكذا الأمر عندهم سواء لافرق بين الخلق والأمر ولا فرق في نفس
الأمر بين المأمور والمحذور ولكن المشيئة اقتضت أمره بهذا ونهيه
عن هذا من غير أن يقوم بالمأمور صفة تقتضي حسنه ولا بالمنهى
عنه صفة تقتضي قبحه ^(٢) . ولهذا الأصل لوازم فاسدة وفروع كثيرة

ومع ربه بقلبه ، فهو موجود كغير الموجود غريب بين بني جنسه مستوحش
منهم ، معروف عند الله مؤنس بمناجاته بالقلب وبالعمل الصالح .

(١) نفاة جمع ناف كقضاة جمع قاض . أي الذين ينفون عن أمر الله
لعباده بالطاعة ونهيه إياهم عن المعصية والحكمة والسبب ويفعلون ما أمر
وينتهون عما نهى لمجرد الأمر والنهي :

(٢) لا بد أن يعتقد المؤمن الحكمة في أوامر الله ونواهيه ، فيعتقد أنه
لا يأمر بالعمل إلا لحكمة دنيوية أو أخروية ، ولا ينهى عنه إلا لحكمة

وهؤلاء غالبهم لا يجدون حلاوة العبادة ولا لذتها ولا يتنعمون بها
ولهذا يسمون الصلاة والصيام والزكاة والحج والتوحيد والإخلاص
ونحو ذلك تكاليف أى كلفوا بها ولو سمي مدعى محبة ملك الملوك أو
غيره ما يأمره به تكليفا لم يعد محبالة ، وأول من صدرت عنه هذه المقالة
الجمعد بن درهم .

الصنف الثانى القدرية ^(١) النفاة الذين يثبتون نوعا من الحكمة

دنيوية أو أخروية أو دنيوية وأخروية معا ، وإن كانت حكمة بعض
الأوامر والنواهي تخفى علينا لقصر عقولنا عن ادراكها ، ولسنا مكلفين
بالوصول الى حكمة كل أمر ونهى ، ولكننا مكلفون باعتقاد الحكمة فى
أمر الله ونهيه ، ولو خلت أفعال الله عن الحكمة لمكانت عبثا والله تعالى
منزه عن العبث .

(١) اعلم أن أول بدعة ظهرت فى الاسلام هى بدعة التشيع للامام على
كرم الله وجهه وأنه أولى بالخلافة من أبى بكر وعمر وعثمان . وبدعة
الخوارج ، وهى عدم اعترافهم بأحد الخليفتين على ومعاوية والخروج عن
طاعتها وجوب قتلها . وبدعة القدر ، وهى خلق العبد لأفعاله كلها أو بعضها
وأنه يستحق الثواب بعمله الطاعة ويستحق العقاب بعمل المعصية ولا فضل لله
فى ذلك بل يجب عليه ، وبدعة الارجاع ، وهى أن الناس مرجئون الى مشيئة الله
إن شاء عفا عنهم وإن شاء عذبهم . وأول من تسكلم فى القدر معبد الجهنى
وهذه البدع ظهرت فى القرن الثانى والصحابه موجودون : وقد أنكروا
على أهلها : ثم ظهرت بدعة الاعتزال ولم يزل المسلمون على النهج الاول
ولزوم ظاهر السنة وما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم الى أن حدثت الفتن
بين المسلمين والبغى على أئمة الدين وظهر اختلاف الآراء والميل الى البدع

والتعليل لا يقوم بالرب ولا يرجع اليه بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته فعندهم أن العبادات شرعت أثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم : وأنها بمنزلة استيفاء الأجير أجره قالوا ولهذا يجعلها سبحانه وتعالى عوضا كقوله (وَنُودُوا أَنْ تَتَّخِذُوا الْجَنَّةَ وَرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ^(٢)) (هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا

والأهواء وكثرت المسائل والواقعات والرجوع الى العلماء في المهمات : فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والاستنباط والتتبع وتمهيد القواعد : ولما نتاج القضايا والفوائد : وأخذوا في التبويب والتفصيل والترتيب والتأصيل : فأسست فرقة المعتزلة قواعد الخلاف : ونهجت منهج الفرقة والانحراف وكان أول من اعتزل عن مجلس سيد التابعين الحسن البصري وأصل بن عطاء رئيس الطائفة المعتزلة : ومذهب السلف هو المذهب المنصور والحق الثابت المأثور : وأهله هم الفرقة الناجية والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة ولكل مسكرمة راجية من الشفاعة والورود على الخوض ورؤية الحق وغير ذلك : فذهب السلف حق بين باطلين : وهدى بين ضالين : قال العلامة ابن تيمية : مذهب السلف أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غير تحريف ولا تعطيل : ومن غير تكليف ولا تمثيل . فالعطل يعبد عدما : والممثل يعبد صنما : والمسلم يعبد رب الأرض والسما

(٢) هذه الآية في سورة الأعراف وورد في سورة الزخرف أيضا آية أخرى مثلها وهي « وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون » وسينذكرها المؤلف بعد ذلك

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وفي الصحيح « إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها ، قالوا وقد سماها جزاء وأجرآ وثوابا لأنه شيء يثوب إلى العامل من عمله أى يرجع إليه : قالوا ويدل عليه الموازنة فلولا تعلق الثواب بالأعمال عوضا عليها لم يكن للموازنة معنى : وهاتان الطائفتان متقابلتان : فالجبرية لم تجعل للأعمال ارتباطا بالجزاء البتة وجوزت أن يعذب الله من أفنى عمره في الطاعة وينعم من أفنى عمره في مخالفته وكلاهما سواء بالنسبة إليه والكل راجع إلى محض المشيئة ، والقدرية أوجبت عليه سبحانه وتعالى رعاية المصالح وجعلت ذلك كله بمحض الأعمال وأن وصول الثواب إلى العبد بدون عمله فيه تنقيص باحتمال منة الصدقة عليه بلا ثمن فجعلوا تفضله سبحانه وتعالى على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد وإعطائه ما يعطيه أجره على عمله أحب إلى العبد من أن يعطيه فضلا منه بلا عمل ولم يجعلوا للأعمال تأثيرا في الجزاء البتة والطائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم وهو أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب : والأعمال الصالحات من توفيق الله وفضله وليست قدرا لجزائه وثوابه بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكرا على أحد الأجزاء القليلة من نعمه سبحانه وتعالى فلو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خير آمن أعمالهم : وتأمل قوله تعالى (وَنَالِكَ الْجَنَّةُ) (أَلَمْ يَأْتِ أَوْرَثُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) مع قوله ﷺ « لن يدخل أحد

منكم الجنة بعمله ، ^(١) تجد الآية تدل على أن الجنان بالأعمال والحديث ينفي دخول الجنة بالأعمال ولا تنافي بينهما لأن توارد النفي والاثبات ليس على محل واحد فالمنفي بآء الثمنية ^(٢) واستحقاق الجنة بمجرد الأعمال ، رداً على القدرية المجوسية التي زعمت أن الفضل بالشواب ابتداء متضمن لتكدير المنة . والباء المثبتة التي وردت في القرآن هي بآء السببية ^(٣) رداً على القدرية

(١) الحديث في الصحيحين . ولفظ البخاري عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن يدخل أحدا عمله الجنة ، قالوا ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضله ورحمة ، فسددوا ولا يمتنعون أحكم الموت أما محسناً فله أن يزداد خيراً وأما مسيئاً فله أن يستتيب » فذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب بل ثبوتهما بالشريعة حتى لو عذب الله تعالى جميع المؤمنين كان عدلاً منه ولكنه أخبر بأنه لا يفعل بل يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين . وقد روى أبو داود وابن ماجه من حديث أبي بن كعب في ذكر القدر (وفيه) « لو أن الله عذب أهل سمواته وأرضه لعذب بهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم » الحديث . والله أعلم

(٢) أى الباء التي تجعل ما بعدها ثمتاً لما قبلها ، فقوله ﷺ « إن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » معناه لا يدخل أحد منكم الجنة وتكون الجنة ثمتاً لعمله وأجراً بحيث يجب دفع الثمن إذا عمل العمل

(٣) المراد بآء السببية في القرآن الباء التي تجعل ما بعدها سبباً لما قبلها كالباء في قوله تعالى « أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون » وقوله تعالى « وذلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون » المعنى أن العمل سبب الجنة والله تعالى هو الذي تفضل بإعطاء المسبب وهو الجزاء وهو الذي وفق العاملين

الجبرية الذين يقولون لا ارتباط بين الأعمال وجزائها ولا هي أسباب لها وإنما غايتها أن تكون أمانة (١) :

والسنة النبوية هي أن عموم مشيئة الله وقدرته لا تنافي ربط الأسباب بالمسببات وارتباطها بها : وكل طائفة من أهل الباطل تركت نوعا من الحق فانها ارتكبت لأجله نوعا من الباطل بل أنواعا ، فهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه :

الصنف الثالث الذين زعموا أن فائدة العبادة رياضة النفوس واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها من قوى النفس السَّبْعِيَّة والبهيمية فلو عطلت العبادة لالتحقت بنفوس السباع والبهائم فالعبادة تخرجها إلى مشابهة العقول فتصير قابلة لانتقاش صور المعارف فيها : وهذا يقوله طائفتان : إحداهما من يقرب إلى الإسلام والشرائع من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وعدم الفاعل المختار : والطائفة الثانية من تفلسف من صوفية الإسلام ويقرب إلى الفلاسفة فانهم يزعمون أن العبادات رياضات لاستعداد النفوس للمعارف العقلية ومخالفة العوائد . ثم من هؤلاء من لا يوجب العبادة إلا بهذا المعنى فاذا حصل لها ذلك بقي متحيرا في لفظ أوراده والاشتغال بالوارد منها : ومنهم من يوجب القيام بالأوراد وعدم الإخلال بها ، وهم صنفان

للسبب وإن كان لله حق عدم الجزاء على العمل واسكنه لا يفعل .

(١) أى علامة على ما أراده الله من الجزاء لفاعل الخير وليست سببا في الجزاء .

أيضاً : أحدهما من يقول بوجوبها حفظاً للقانون وضبطاً للناس^(١) :
والآخرون يوجبونها حفظاً للوارد وخوفاً من تدرج النفس بمفارقتها
إلى حالها الأولى من البهيمية : فهذه نهاية أقدامهم في حكمة العبادة وما شرعت
لأجله ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق
من هذه الطرق الثلاث أو مجموعها :

والصنف الرابع هم القائلون بالجمع بين الخلق والامر والقدر
والسبب فعندهم أن سر العبادة وغايتها مبنى على معرفة حقيقة الإلهية
ومعنى كونه سبحانه وتعالى إلهاً أن العبادة موجب الإلهية وأثرها
ومقتضاها وارتباطها كارتباط متعلق بالصفات بالصفات وكارتباط
المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة : والاصوات بالسمع : والاحسان
بالرحمة : والإعطاء بالجود : فعندهم من قام بمعرفتها على نحو الذى
فسرناها به لغة وشرعاً مصدراً ومورداً استقام له معرفة حكمة
العبادات وغايتها به وعلم أنها هى الغاية التى خلقت لها العباد ولها أرسلت
الرسل وأنزلت الكتب وخلقت الجنة والنار : وقد صرح سبحانه
وتعالى بذلك فى قوله (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)
فالعبرة هى التى ما وجدت الخلاق كلها إلا لأجلها كما قال تعالى
(اِيْحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) أى مهملاً^(٢) : قال الشافعى رحمه

(١) أى للسنة الإلهية التى يجرى عليها السكون

(٢) أى لا يكلف بواجبات ولا ينهى عن محظورات فيكون
كالحيوان الأعجم الذى لم يكلف بشئ :

الله لا يؤمر ولا ينهى : وقال غيره لا يثاب ولا يعاقب ، وهما تفسيران صحيحان فان الثواب والعقاب مترتبان على الامر والنهى والامر والنهى هو طلب العبادة وإرادتها . وحقيقة العبادة امتثالها : ولهذا قال تعالى (وَيَتَفَكَّرُونَ^(١) فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا) وقال تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ) (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) فآخبر الله تعالى أنه خلق السموات والارض بالحق المتضمن أمره ونهيه وثوابه وعقابه : فاذا كانت السموات والارض إنما خلقتا لهذا وهو غاية الخلق فكيف يقال إنه لا غاية له ولا حكمة مقصودة أو إن ذلك بمجرد استئجار العمال حتى لا يتكدر عليهم الثواب بالمنة أو لمجرد استعداد النفوس للعارف العقلية وارتياضها لمخالفة العوائد :

وإذا تأمل اللبيب الفرق بين هذه الأقوال وبين ما دل عليه صريح الوحي علم أن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لأمره . فأصل العبادة محبة الله بل إفراده تعالى بالمحبة فلا يجب معه سواه وإنما يجب ما يحبه لأجله وفيه كما يجب أنبياءه

(١) وردت هذه الآية في سورة آل عمران في وصف أولى الالباب أي أصحاب العقول الذين يعرفون الله حق معرفته ويتفكرون في خلقه قال تعالى « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »

ورسله وملائكته لأن محبتهم من تمام محبته وليست كمحبة من اتخذ من
دونه أنداداً يحبهم كمحبه : وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها
فهى إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه فعند اتباع الأمر والنهى
تتبين حقيقة العبودية والمحبة : ولهذا جعل سبحانه وتعالى اتباع رسوله
ﷺ علماً (١) عليها وشاهداً لها كما قال تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ
اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) فجعل اتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم لله
تعالى وشرطاً لمحبة الله لهم ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع :
فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة للرسول : ولا يكفى ذلك حتى يكون
الله ورسوله أحب إليه مما سواهما : ومتى كان عنده شيء أحب إليه منهما
فهو الإشراف الذى لا يغفره الله : قال تعالى (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ
وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا
وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) وكل من قدم قول غير الله على قول الله
أو حكم به أو حاكم إليه فليس ممن أحبه : لكن قد يشبهه الأمر على من
يقدم قول أحد أو حكمه أو طاعته على قوله ظناً منه أنه لا يأمر ولا
يحكم ولا يقول إلا ما قال الرسول ﷺ فيطيعه ويحكم إليه ويتلقى أقواله
كذلك فهذا معذور إذا لم يقدر على غير ذلك :

وأما إذا قدر على الوصول إلى الرسول ﷺ وعرف أن غير من اتبعه أولى به مطلقاً أو في بعض الأمور كمسئلة معينة ولم يلتفت إلى قول الرسول ﷺ ولا إلى من هو أولى به فهذا يخاف عليه : وكل ما يتعلل به من عدم العلم أو عدم الفهم أو عدم إعطاء آلة الفقه في الدين أو الاحتجاج بالآشياء والنظائر أو بأن ذلك المتقدم كان أعلم مني بمراده ﷺ فهذه كلها تعللات لا تفيد :

هذا مع الإقرار بجواز الخطأ على غير المعصوم إلا أن ينازع في هذه القاعدة فتسقط مكالمته وهذا هو داخل تحت الوعيد فإن استحل مع ذلك ثلب ^(١) من خالفه وقرض ^(٢) عرضه ودينه بلسانه وانتقل من هذا إلى عقوبته أو السعى في أذاه فهو من الظلمة المعتدين ونواب المفسدين .

واعلم أن العبادة أربع قواعد وهي التحقيق بما يحب الله ورسوله ويرضاه وقيام ذلك بالقلب واللسان والجوارح فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع : فاصحاب العبادة حقاً هم أصحابها فقول القلب هو اعتقاد ما أخبر الله تعالى عن نفسه وأخبر رسوله عن ربه من أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه وما أشبه ذلك ، وقول اللسان الإخبار عنه بذلك والدعاء اليه والذب ^(٣) عنه وتبيين بطلان البدع

(١) أى ذمّه

(٢) أى التكلم في عرضه ودينه بما يمزقه كما يمزق القارض المقرض

(٣) أى الدفاع عنه

المخالفة له والقيام بذكره تعالى وتبليغ أمره : وعمل القلب كالحجة
 له والتوكل عليه والإيابة والخوف والرجاء والإخلاص والصبر على
 أوامره ونواهيه وإقراره والرضا به وله وعنه والمواالة فيه والمعادة
 فيه والإخبات اليه والطمانينة ونحو ذلك من أعمال القلوب التي
 فرضها آكد من فرض أعمال الجوارح ومستحبها إلى الله تعالى أحب
 من مستحب أعمال الجوارح : وأما أعمال الجوارح فكالصلاة
 والجهاد ونقل الاقدام إلى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز
 والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك : فقول العبد في صلواته (إِيَّاكَ
 نَعْبُدُ) التزام أحكام هذه الأربعة وإقرار بها : وقوله (وَإِيَّاكَ
 نَسْتَعِينُ) طلب الإعانة عليها والتوفيق لها : وقوله (اهْدِنَا
 الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) متضمن للامر على التفصيل وإلهام القيام
 بهما وسلوك طريق السالكين إلى الله تعالى والله الموفق بمنه وكرمه
 والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه
 ووارثيه وحزبه .

تم الكتاب والحمد لله أولا وآخرا

(فائدة)

قد تقدم للمؤلف المقرئى كلام فى حلق الرأس وأجمل القول فى ذلك ولما كان الحكم فى ذاته فيه تفصيل أحببنا أن نذكر هنا ما أورده الحافظ العلامة شمس الدين ابن القيم فى كتابه زاد المعاد فى هدى خير العباد : قال فى كتاب الطب من الجزء الثانى فى علاج القمل الذى فى الرأس وإزالته • وحلق الرأس ثلاثة أنواع أحدها نسك وقربة والثانى بدعة وشرك والثالث حاجة ودواء فالأول الحلق فى أحد النسكين الحج والعمرة ، والثانى حلق الرأس لغير الله سبحانه وتعالى كما يخلقها المريدون لشييوخهم فيقول أحدهم أنا خلقت رأسى لفلان وأنت خلقتك لفلان وهذا بمنزلة أن يقول سجدت لفلان فان حلق الرأس خضوع وعبودية وذل ولهذا كان من تمام الحج حتى إنه عند الشافعى رحمه الله تعالى ركن من أركانه لا يتم إلا به فإن وضع النواصى بين يدى ربهما خضوع لعظمته وتذلل لعزته وهو من أبلغ أنواع العبودية : ولهذا كانت العرب إذا أرادت إذلال الأسير منهم وعتقه حلقوا رأسه وأطلقوه : فجاء شيوخ الضلال والمزاحمون للربوبية الذين أساس مشيختهم على الشرك والبدعة فارادوا من مريديهم أن يتعبدوا لهم فزيّنوا لهم حلق رؤوسهم لهم كما زينوا لهم السجود لهم وسموه بغير اسمه وقالوا هو وضع الرأس بين يدى الشيخ : ولعمر الله إن السجود لله هو وضع الرأس بين يديه سبحانه وتعالى وزينوا لهم أن يندروا لهم ويتوبوا لهم ويحلفوا بأسمائهم :

وهذا هو اتخاذهم أرباباً من دون الله تعالى (مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) وأشرف العبودية عبودية الصلاة وقد تقاسمها الشيوخ والمتشبهون بالعلماء والجبابرة فأخذ الشيوخ منها أشرف ما فيها وهو السجود : وأخذ المتشبهون بالعلماء الركوع فاذا لقي بعضهم بعضاً ركع له كما يركع المصلى لربه سواء وأخذ الجبابرة منهم القيام فيقوم الأحرار والعبيد على رؤسهم عبودية لهم وهم جلوس ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن هذه الأمور الثلاثة على التفصيل فتعاطيها مخالفة صريحة له . فنهى عن السجود لغير الله وقال « لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد » وأنكر على معاذ لما سجد له وقال « مه (١) » ، وتحريم هذا معلوم من دينه ضرورة ، وتجويز من جوزه لغير الله مراغمة لله ورسوله وهو من أبلغ أنواع العبودية فاذا جوز هذا المشرك هذا النوع اليسير فقد جوز عبودية غير الله : وقد صح أنه قيل له « الرجل يلقى أخاه أينحنى له قال لا قال أيلزمه ويقبله قال لا قيل أياصافه قال نعم » وأيضاً فالانحناء عند التحية سجد ، ومنه قوله تعالى (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا) أى منحنين وإلا فلا يمكن الدخول على الجبابرة ،

(١) كلمة زجر بمعنى لا تفعل

وصح عنه النهي عن القيام وهو جالس كما يعظم الأعاجم بعضها بعضاً^(١) حتى منع ذلك في الصلاة وأمرهم إذا صلى جالساً أن يصلوا جلوساً وهم أصحاء لا عذر لهم لئلا يقوموا على رأسه وهو جالس^(٢) مع أن قيامهم لله فكيف إذا كان القيام تعظيماً وعبودية لغيره سبحانه وتعالى :

والمقصود أن النفوس الجاهلة الضالة أسقطت عبودية الله سبحانه وتعالى وأشركت فيها من تعظمه من الخلق فسجدت لغير الله وركعت له وقامت بين يديه قيام الصلاة وحلفت بغيره ونذرت لغيره وحلفت لغيره وذبحت لغيره وطافت بغير بيته وعظمته بالحب والخوف والرّجاء والطاعة كما يعظم الخالق بل أشدّ وسوءت من تعبده من المخلوقين رب العالمين .

هؤلاء هم المضادون لدعوة الرسل وهم الذين برهم يعدلون وهم

(١) الحديث رواه أبو داود وابن ماجه : قال الحافظ عبد العظيم المنذرى واسناده حسن أبو غالب فيه واسمه حذور ويقال نافع ويقال سعيد ابن الحذور فيه كلام طويل ، والغالب عليه التوثيق وقد صحح له الترمذى وغيره : اه : ورواه أيضا الترمذى فى الشمائل : وفى مشروعية القيام للناس خلاف والصحيح التفصيل والجمع بين الأحاديث . وقد ألف الامام النووى فى ذلك رسالة وذكرها صاحب المدخل فى كتابه وتعقبه فى كثير منها ورد كلامه فى جواز القيام فعليك بمطالعتة فانه يغنيك :

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أبى الزبير عن جابر « أنهم لما صلوا خلفه قعوداً قال فلما سلم قال ان كدتم انفا تفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا »

الذين يقولون وهم في النار مع آلهتهم يختصمون (تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ اِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) وهم الذين قال فيهم (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اُنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّٰهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا اَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ) وهذا كله من الشرك والله لا يغفر أن يشرك به . والله أعلم .

(تنبيه)

سقط في صفحة ٤٨ في التعليق رقم ٢ بعد كلمة سعد ، ورواه ، فيكون نظم الكلام هكذا ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ،

فهرس تجريد التوحيد

صفحة	
٢	مقدمة المعلق
٤	مقدمة المؤلف
٥	معنى قوله تعالى رب العالمين
٦	التوحيد له قشران
٧	لباب التوحيد
٨	الله هو الاسم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى
٩	معنى قوله تعالى « ملك الناس إله الناس »
١٠	سحر النبي ﷺ والخلاف في جواز وقوعه
١٢	سر كون المعوذتين إحدى عشرة آية
١٣	حقيقة قول القدرية المجوسية
١٤	شرك الأمم كله نوعان
١٥	التسوية بين الله وغيره في الحب شرك
١٦	مذهب المجوس والفلاسفة المعطلين
١٧	القدرية مجوس هذه الأمة
١٨	لعن رسول الله ﷺ من اتخذ القبور مساجد
١٩	د د د زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج
٢٠	زيارة القبور على ثلاثة أقسام
٢١	الحلف بغير الله شرك
٢٣	الشرك في الارادات والنيات
٢٤	إن الله لا يغفر أن يشرك به

صفحة

التعطيل أصل الشرك	٢٥
أنواع الشرك	٢٦
الكمال المطلق من خصائص الالهية	٢٧
الشرك بالتشبيه بالله	٢٨
حرمة التصوير وأن المصورين من أشد الناس عذابا يوم القيامة	٢٩
حكم من يتسمى ملك الملوك وحاكم الحكام الخ	٣٠
حكم من ظن أن الله لا يجيبه إلا بواسطة	٣١
من اتخذ لله واسطة فقد ظن به ظن السوء	٣٢
أصل الضلال راجع إلى شيئين	٣٣
من لم يقدروا الله حق قدره	٣٤
كل من عبد مع الله غيره عبد شيطانا	٣٦
الناس في عبادة الله والاستعانة به أقسام	٣٧
من سأل الله العون على غير الطاعات يبعد عن مرضاة الله	٣٨
قلة الرزق ليست لهوان العبد على ربه وكثرته ليست لكرامته عليه	٣٩
من له نوع عبادة بلا استعانة	٤٠
حقيقة الاستعانة بالله عملا	٤١
متابعة الرسول وإخلاص العبودية أصل عبادة الله	٤٢
من لا إخلاص له ولا متابعة	٤٣
من يتبع ويعمل ولكن عمله غير الله	٤٤
أهل مقام د إياك نعبد ، لهم في أفضل العبادات أربع طرق	٤٥
بيان فساد قول العوام د الثواب على قدر المشقة ،	٤٦
من يرى أن أفضل العبادات دوام ذكر الله بالقلب	٤٧

صفحة	
٤٨	من يرى أن أفضل العبادات نفع الناس
٤٩	متى يبقى ثواب العبادة بعد الموت ومتى ينقطع
٥٠	من يرى أن أفضل العبادات شغل كل وقت بما هو مقتضاه
٥٣	ثواب من أنفق زوجين في سبيل الله
٥٤	الناس في حكمة العبادة ومنفعتها طرق أربع
٥٥	القدرية الذين يثبتون نوعا من الحكمة لا يرجع إلى الرب
٥٧	القدرة أوجبت على الله رعاية المصالح
٥٨	الأعمال أسباب للجنة لا أثمان لها
٥٩	الذين زعموا أن حكمة العبادة رياضة النفوس
٦٠	العبادة موجب الإلهية ومقتضاها
٦١	أصل العبادة محبة الله بل لإفراده بالمحبة
٦٢	إخلاص العبادة أن يكون الله ورسوله أحب مما سواهما
٦٣	العبادة أربع قواعد
٦٤	فائدة : في حكم خلق الرأس لله ولغيره
٦٨	تنبيه

المطبعة المنيرية :

تحرص على تقديم غذاء الأرواح للمسلمين فتحي كتب السنة بطبعها
طبعاً جديداً مع تصحيح أصولها ، والتعليق عليها تعليقا يبين مزاياها
ويشرح غوامضها ، ويقربها إلى الأفهام ، ويجعلها في متناول كل الناس
لرخص أسعارها وبذل الجهد في حصول كل راغب عليها . وهي إلى
ذلك تحرص أيضاً على طبع الكتب الأدبية المفيدة التي تنفع الناشئين
وتجعلهم في مستوى أدبي رفيع ، ويستطيع القارئ أن يحصل على
الكتب الآتية من المطبعة المنيرية بشارع الشيخ محمد عبده درب الأتراك
رقم ١ بجوار الجامع الأزهر إدارة محمد أبوطالب شاهين : -

الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية
لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسي

تجريد التوحيد المفيد للإمام تقي الدين المقرئ
قاعدة جلية في التوسل والوسيلة للإمام أحمد بن تيمية

خولة الشعراء الأصمى يطبع - لأول مرة

رائد الشعر الحديث للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

مذاهب الأدب

بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي - ٩ أجزاء

LIBRARY
OF
MICHIGAN UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 080198961

2272

.612737

.3895

CAP